



أسر  
الحمادي

# الحماديّة

شذرات تربوية حماسية لعشيرتي الأقربين ( الحمادي )  
من آل هويمل، من آل أبي رباح، من بكر بن وائل

كتبها

إبراهيم بن عبد الله المديهي

النشرة الأولى: «مقدمة» (١٤ / ١٠ / ١٤٤١ هـ)

النشرة الثانية: «الحمادية» (١٤ / ٣ / ١٤٤٢ هـ)

النشرة الثالثة: (٢٧ / ٧ / ١٤٤٢ هـ)

النشرة الرابعة - مزيدة ومصححة - :

[ ١ / ٢ / ١٤٤٣ هـ ]

## وحي الكتاب و فهرسته غير المرتبة

سبحان الله !!

ما أكثر ما يقول الأطباء: إنها وراثية! وكلُّها في باب الأمراض  
والعاهات؛ لأن مهنة الطبيب كشف العلة !!  
س: هل توجد وراثية في باب الأمجاد والمكارم والمآثر  
والأحساب والأخلاق والعلم والفضائل؟!  
التذكير بالمكارم الطيبة الصالحة (الموروثة) من عشرات أو مئات  
السنين؛ حافز قوي لعمل الخير والامتناع عن الأعمال المشينة...  
إليكم شذرات تربوية حماسية كتبتها لأسرتي الكبيرة (الحمادى)  
وهي وإن كانت بخطاب خاص، لمناسبة خاصة؛ إلا أنها صالحة لعموم  
الأسرِ والعشائر والمُجتمعات، و « العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص  
السبب».

### تقرأ في هذا الكتاب = «الحمادية»

١. أنواع كتب الفهارس.
٢. لا يصح الفخر بالنسب، ولا العجبُ به، وإنما المدار على التقوى  
والصلاح والعمل النافع للمسلمين.

٣. أنتَ بعمَلِك لا بأضَلِك .
٤. العِرْقُ دَسَّاس = قانون الرجعة = مماثلة الجدود .
٥. ما معنى حديث: « الناس مَعَادِن » ؟
٦. متى يكون الفخر بالأحساب ممنوعاً ؟
٧. أثر مراعاة الأحساب الطيبة على الأُسْر والقبائل .
٨. العمل الطيب من فَرْدٍ وَاحِدٍ يُنْسَبُ لِلأُسْرَةِ كُلِّهَا، وَلِلْقَبِيلَةِ،  
وَلِلْبَلَدَةِ .
٩. فوائد الذكر الحسن للأسرة .
١٠. العلم أشرفُ الأحساب .
١١. مساوئ الأخلاق تهدم المآثر الطيبة .
١٢. الأشراف - حسباً - يتنزهون عن المعايب والخوارم .
١٣. الحسد شؤم وعذاب على صاحبه .
١٤. يُسْتَعْرَبُ من أحفادِ الرجالِ أهلِ الخيرِ والصلاحِ والمروءة أن  
تصدر منهم أعمالٌ لا تليق !
١٥. مآثرُ الآباءِ مآثرٌ للأبناءِ والعكس = شرفُ الوالدِ جزءٌ من ميراثه .

١٦. مآثرُ أجدادك تُحفِّزك على العمل بمثلها أو أحسن.

١٧. مآثرُ أجدادك أحياناً تزعُ أسرتكم عن السوءِ أكثر مما تزعُ المواعظُ.

أمل أن تكون هذه المنوعات إضافةً جديدةً للمكتبة الشرعية+ النسبية+ الأسرية+ الأخلاقية+ التربوية+ الأدبية؛ فإني لا أعلم كتاباً جمعتها في موضعٍ واحد.

إلى المجامع الكبيرة: مدينة / قبيلة / عشيرة / أسرة ...

إلى القائمين على مناشط أسرتهم، دونكم « الحمادية » اتلوها على

مسمع أبنائكم وبناتكم، ليزداد الخير، ويقل الشر...

أسأل الله أن ينفع بها ويبارك... والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً

وباطناً حمداً يليق بجلاله وعظيم سلطانه...

# الحميدي بن حمد، من آل أبي رباح، من بكر بن وائل (ت 1095 هـ تقريباً)



أَلَمْ تَرَ صُورَةَ الْأَجْدَادِ فِيهِمْ \* عَلَيْهَا مِنْ مَلَامِحِهِمْ إِطَارُ  
فَقِفْ تَرَ غَرَسَهُمْ يَنْمُو بِدَارًا \* بِدَارٍ نَحْوَهَا اشْتَدَّ الْبِدَارُ

محمد العيد آل خليفة الجزائري، «ديوانه» (ص ٧٨)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ حَقَّ حَمْدِهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَبْدِهِ،

مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

**أما بعد**

فَقَدْ كَتَبْتُ مُقَدِّمَةً فِي ( ٢٨ صَفْحَةً ) لِكِتَابِ: « **دَلِيلُ النَّتَاجِ الْعِلْمِيِّ** »

**لِلْحَمَادِيِّ** » تَأَلَّفَ: د. عَلِيٌّ الْحُمُودِيُّ، أَنْتَهَيْتُ مِنْهَا فِي ( ١٤ / ١٠ / ١٤٤١ هـ )،

أَخَذْتَنِي فِيهَا الْحَمِيَّةُ الصَّالِحَةُ وَالْمَحَبَّةُ الصَّادِقَةُ مَأْخِذًا، وَصَاحِبِي الشُّوقُ

وَالْخَوْفُ، وَالْفَرَحُ وَالرَّهْبَةُ لِلْحَمَادِيِّ وَمِنَ الْحَمَادِيِّ وَإِلَى الْحَمَادِيِّ...

فَجَاءَتْ تَتَهَادَى .

وَلَمَّا اطَّلَعَ عَلَيْهَا د. الْحُمُودِيُّ، قَالَ لِي مَا قَالَ، ثُمَّ أَعَادَ لِي مَا قَالَ،

ثُمَّ كَرَّرَ لِي مَا أَعَادَ، وَكَانَ مِمَّا قَالَ لِي وَكَرَّرَ: أَنْ أَنْشُرَ الْمُقَدِّمَةَ فِي جُزْءٍ

مُفْرَدٍ يُتَدَاوَلُ <sup>(١)</sup> - وَهُوَ مَا كُنْتُ عَازِمًا عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ - ، وَأَبْلَغَنِي بِمَا قَالَ لَهُ

(١) خَاصَّةً بَعْدَمَا وَالْيَتَهُ بِالزِّيَادَاتِ، وَرَأَى أَنْ الْمُقَدِّمَةَ طَالَتْ، وَالْكِتَابَ فُهِرَسَ، وَمَوْضِعَ

الزِّيَادَاتِ فِي هَذَا الْجُزْءِ الْمُفْرَدِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْلَى وَأَخْرَأَ - .

مَنْ رَاجَعَ دَلِيلَ النَّجَاحِ مِنْ خَارِجِ الْحَمَادِي؛ فَزَادَتْ الْمَحَبَّةُ، وَتَضَاعَفَ الشَّوْقُ، وَعَظُمَتِ الْفَرَحَةُ، فَجَاءَتْ مُسْرِعَةً وَلَمْ تَتَهَادَ.

هَذِهِ الْحَمَادِيَّةُ - أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ - فِيهَا زِيَادَاتٌ كَثِيرَةٌ عَلَى مَا فِي مُقَدِّمَةِ الدَّلِيلِ، فَانْتَقَلَتْ مِنْ مُقَدِّمَةٍ إِلَى عِلْمِ الْمُحَاضِرَاتِ.

وَسُبْحَانَ اللَّهِ! تَأَمَّلْ أَثَرَ مُقْتَرِحِي لِلْحَمَادِي كُلِّهِمْ بِإِفْرَادِ دَلِيلٍ لِلنَّجَاحِ الْعِلْمِيِّ، ثُمَّ عَادَ الْمُقْتَرِحُ عَلَيَّ فِيمَا بَعْدُ بِإِفْرَادِ الْمُقَدِّمَةِ! نَعَمْ، أَيُّ عَمَلٍ يَتَّحِدُ فِيهِ أَهْلُ الْأَخْتِصَاصِ لِلْهَدَفِ الطَّيِّبِ؛ يُثْمِرُ هَذِهِ التَّدَاوُلَاتِ الْمُبَارَكَةِ، وَالْأَعْمَالَ الْمُثْمِرَةَ؛ وَالْكَلِمَةَ الطَّيِّبَةَ صَدَقَةٌ... فَتَعَاوَنُوا أَبْنَاءَ وَبَنَاتِ الْعَمِّ فِي كُلِّ خَيْرٍ يَخْدِمُ أُسْرَتَكُمْ الْكَبِيرَةَ «الْحَمَادِي».

- مَا سَامَ ذُو رَأْيٍ سَدِيدٍ مَطْلُبًا \* إِلَّا غَدَا بِيَدِ الْمَعُونَةِ يُعْضِدُ
- وَلَنَا نَفُوسٌ لَمْ تُنْطِ آمَالُهَا \* إِلَّا بِمَا هُوَ فِي الْمَعَالِي أَمْجَدُ
- أَفَلَا نَسِيرُ مَسِيرَ ذِي رُشْدٍ إِلَى \* آثَارِ مَا قَدْ أَسَّسُوهُ وَشَيَّدُوا
- فَلَطَّالَمَا حَوَتْ الْغَنَائِمُ جَوْلَةً \* مِنْ رَائِدِ النَّظَرِ الَّذِي لَا يَخْمَدُ
- إِنَّ الْمَعَارِفَ وَالصَّنَائِعَ عُدَّةٌ \* بَابُ التَّرْقِي مِنْ سِوَاهَا مُوَصَّدٌ<sup>(١)</sup>

(١) العلامة: الخضر حسين (ت ١٣٧٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ «موسوعة الأعمال الكاملة» (٧ / ٨٩).



وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ هَذِهِ **الْحَمَادِيَّةُ** **حَمَادِيَّةً** مُفِيدَةً لِعَامَّةِ الْأُسْرِ  
وَالْعَشَائِرِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، لِأَنَّهَا تَضَمَّنَتْ نُصُوصًا وَدَلَالَاتٍ لَمْ أَرَهَا  
مَجْمُوعَةً فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ، دَالَّةً عَلَى الْحِفَاطِ عَلَى الْقِيَمِ وَالْأَحْسَابِ  
الطَّيِّبَةِ، وَبِهَا تُحَرِّكُ الْمَشَاعِرَ الْفِطْرِيَّةَ وَالْعَصَبِيَّةَ الصَّالِحَةَ لِلْأَخْذِ  
بِالْمُرُوءَاتِ <sup>(١)</sup>، خَاصَّةً أَنَّنَا فِي زَمَنِ نَحْتَاجُ فِيهِ الْحَدِيثَ حَوْلَ هَذِهِ الْمَعَانِي،  
وَتَرْبِيَةِ أَوْلَادِنَا عَلَيْهَا؛ لَوْجُودِ حَمَلَاتٍ عَالِمِيَّةٍ تَهْدِفُ لِرِعَايَةِ الْعَائِلَةِ =  
الْبَيْتِ الْوَاحِدِ، ثُمَّ الْأُسْرَةِ الَّتِي تَجْمَعُ بِيُوتًا عَدِيدَةً <sup>(٢)</sup>، وَهَذَا الْحَثُّ  
وَالْتَرغِيبُ يَأْتِي بَعْدَ الْحَدِيثِ الشَّرْعِيِّ الْمَلِيِّ بِالنُّصُوصِ الشَّرْعِيِّ تَرْغِيبًا  
وَتَرْهيبًا...

(١) لَمَّا جَاءَتْ الصُّورُ الْحَمَاسِيَّةُ فِي كُتُبِ الْأَدَبِ عَنِ الْأَقَارِبِ مَحْضُورَةً فِي الْقِتَالِ،  
وَالشَّجَاعَةِ، وَالكَرَمِ، فَإِنَّ مَا سَقْتُهُ هُنَا تَدُورُ حَوْلَ الْحِفَاطِ عَلَى الْعِلْمِ وَنَشْرِهِ، وَمَكَارِمِ  
الْأَخْلَاقِ وَالسُّمَعَةِ الطَّيِّبَةِ، وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ هَذَا الْبَحْثَ كُتِبَ أَوَّلًا مَقْدَمَةً لِكِتَابِ  
« دَلِيلُ النَّجَاحِ الْعِلْمِيِّ لِلْحَمَادِيِّ »، وَلِأَنَّ بِالْعِلْمِ وَالصَّنَاعَةِ وَالنِّتَاجِ الْمُثْمِرِ لِلْعِبَادِ  
وَالْبِلَادِ، تُبْنَى الْبُلْدَانُ وَتَرْتَقِي.

(٢) الْعَائِلَةُ نَوَاطِ الْأُسْرَةِ، وَالْأُسْرَةُ نَوَاطِ الْمُجْتَمَعِ، وَثَمَّةَ فَرْقٌ بَيْنَ الْعَائِلَةِ ( الْبَيْتِ الْوَاحِدِ )،  
وَالْأُسْرَةِ ( مَجْمُوعَةِ بِيُوتِ )، وَقَدْ كَتَبْتُ فِي هَذَا بَحْثًا بِعَنْوَانِ: « مَا مَعْنَى الْأُسْرَةِ، وَهَلْ  
تُطَلَّقُ عَلَى الرَّجُلِ مَعَ زَوْجِهِ وَأَوْلَادِهِ؟ » فِي ( ٥٠ صَفْحَةً ) مَنشُورٍ فِي الشَّبَكَةِ الْعَالَمِيَّةِ.

وَإِنِّي أَوْمَلُ أَنْ تَسْتَفِيدَ عَامَّةُ الْأُسْرِ فِي: مَوَاقِعِهَا التَّقْنِيَّةِ، وَمَجَلَّتِهَا،  
وَكِتَابِهَا، وَمَطْبُوعَاتِهَا، وَمُلْتَقِيَاتِهَا، مِنْ نُصُوصِ هَذِهِ **الْحَمَادِيَّةِ**، مَعَ الْإِحَالَةِ  
إِلَيْهَا، فَالْأَمَانَةُ الْعِلْمِيَّةُ وَاجِبَةٌ... (١)

رَاجِيًا مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ أَنْ يُسِّرَ لِي مُتَابَعَتَهَا وَتَنْمِيَّتَهَا فِي  
نَشْرَاتٍ قَادِمَةٍ؛ لِتَكُونَ رِسَالَةً تَتَدَاوَلُهَا الْأُسْرُ، فَبِصْلَاحِ الْأُسْرِ صِلَاحُ  
الْبُيُوتِ الَّتِي تَحْتَهَا، وَصِلَاحُ الْعَشَائِرِ وَالْأَفْخَاذِ الَّتِي أَعْلَى مِنْهَا،  
وَبِصْلَاحِهِمْ صِلَاحُ الْمُجْتَمَعِ...

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ شُؤُونََنَا كُلَّهَا، وَاحْفَظْ عَلَيْنَا جَمِيعًا دِينَنَا، وَأَمْنَنَا،  
وَبِلَادَنَا، وَوُلَاةَ أَمْرِنَا، وَعُلَمَاءَنَا، وَقِيَمَنَا، وَرِخَاءَنَا، وَاجْتِمَاعَنَا، وَزِدْنَا خَيْرًا  
عَلَى خَيْرٍ، وَأَعِنَّا عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

( ١٤ / ٣ / ١٤٤٢ هـ )

إِلَى الشُّذْرَاتِ فِي هَذِهِ الْمُحَاضِرَاتِ وَهِيَ مَثَانٍ

(١) انظر نصوص الأئمة في الأمانة العلمية، والإحالة إلى المصدر المنقول منه: كتابي:

« النجديون في الهند » ( ص ٣٣-٣٧ ).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ  
وَالْمُرْسَلِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

### أما بعد

فَإِنَّ طَيْبَ الْفُرُوعِ مِنْ طَيْبِ الْأُصُولِ <sup>(١)</sup>، وَالطَّيِّبُ مِنْ مَعَدَنِهِ لَا  
يُسْتَغْرَبُ .

قَوْمٌ إِلَى شَرَفِ الْأَبَاءِ نَسَبَتْهُمْ \* فَطَيْبُ فَرَعِهِمُ الزَّاكِي بِأَصْلِهِمْ <sup>(٢)</sup>  
إِذَا طَابَ أَصْلُ الْمَرْءِ، طَابَتْ فُرُوعُهُ \*

وَهَلْ يَرْجِعُ الْإِنْسَانُ إِلَّا إِلَى أَصْلِ <sup>(٣)</sup>

(١) يُنظَرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى: «حُسْنُ التَّنْبُه» للغزي (٢ / ٤٢٨).

(٢) البيت لأحمد بن خلف أبي العباس المعروف بالمتنع. «بغية الطلب في تاريخ حلب»  
(٢ / ٧٢٨)، ولأحمد أمين كلام عن الوراثة في كتابه: «الأخلاق» (ص ٢٦).

(٣) البيت للحسين بن عبدالرحمن ابن العجمي الحلبي (ت ٥٣٤هـ). «مجمع الآداب»  
لابن الفوطي (٣ / ٣٧٣)، وانظر في المعنى: «الحماسة» للبحري (٢ / ١٧٣).

وَإِنَّ أَطْيَبَ الطَّيِّبِ: نِتَاجُ الْعُقُولِ، وَاصِلُ الْفُرُوعِ بِالْأُصُولِ، وَمُخَلَّدُ صَاحِبِهِ أَبَدَ الدُّهُورِ... (١)

هَاهِي ثَمَارٌ مِنْ أَجْمَلٍ وَأَفْضَلِ الثَّمَارِ (٢) تَدَلَّى بَيْنَ أَيْدِيكُمْ آلَ الْحُمَيْدِيِّ - أَسْعَدَكُمُ اللَّهُ وَاسْعَدَ بِكُمْ - ، تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ، وَتَلَذُّ أَعْيُنُكُمْ، صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ، خَرَجَ مِنْ صُلْبِ وَاحِدٍ = جَدَّنَا الْحُمَيْدِيُّ رَحْمَةً اللَّهِ .

**إِنَّ الْحَمَادِيَّ**، نَسَبَةٌ لِحَدَّنَا السَّابِعِ: الْحُمَيْدِيُّ بْنُ حَمَدٍ رَحْمَةً اللَّهِ، مِنْ آلِ هُوَيْمِلٍ، مِنْ آلِ أَبِي رَبَّاعٍ (٣)، مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ (توفي ١٠٩٥ هـ تقريباً)،

(١) لِشِرَافَةِ النَّسَبِ، وَكَرَمِ النَّجَارِ، مَدْخَلٌ فِي كَوْنِ أَهْلِهِ **خِيَاراً**. « نيل الأوطار » (٣٧٩/٩).

(٢) الْكِتَابُ الَّذِي كُتِبَتْ لَهُ أَسْلُ هَذِهِ الْحَمَادِيَّةِ: « دَلِيلُ النَّتَاجِ الْعِلْمِيِّ لِلْحَمَادِيِّ » د. علي الحمودي .

(٣) جَمِيعُهُمْ كَانُوا فِي « أَشِيقَرَا » فَقَطْ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْهَا سَنَةَ ٨٠٠ هـ تَقْرِيْباً (إلى « مَنْطِقَةُ سَدِير »: فِي التَّوَيْمِ، وَالْمَجْمَعَةِ، وَحَرَمَةِ. ثُمَّ خَرَجَ مَنْ كَانَ فِي « التَّوَيْمِ » سَنَةَ (١٠٤٥ هـ): آلُ هُوَيْمِلٍ إِلَى بَلَدَةِ « الشَّقَّة » فِي الْقَصِيمِ، وَأَبْنَاءُ عَمَّهُمْ آلُ حَمَدٍ إِلَى « حُرَيْمِلَاءَ ».

انْتَقَلَ مِنْ بَلَدَةِ « التُّوَيْمِ » فِي « مَنْطِقَةِ سُدَيْرِ » إِلَى بَلَدَةِ « الشُّقَّةِ » فِي شَمَالِ غَرْبِ « بُرَيْدَةَ » فِي « مَنْطِقَةِ الْقَصِيمِ » سَنَةَ ( ١٠٤٥ هـ ) ، وَلَهُ خَمْسَةُ أَوْلَادٍ ، تَفَرَّعَ مِنْهُمْ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ أُسْرَةً ، كُلُّهَا مِنَ الْعَشِيرَةِ الْأَقْرَبِينَ ، يَجْمَعُهُمْ هَذَا الْجَدُّ الْقَرِيبُ ، وَقَدْ اسْتَهْرُوا بِلَقَبِ « **الْحَمَادِي** » . (١)

(١) ترتيبهم هجائياً:

- [١] **سالم** ، **وَمِنْهُ** : أسرة المديهش ، و **الحمودي** ، و **الجوعي** – ومنهم عائلة باسم الفهد – ، و **الصبحاوي** ، و **الشويهي** ، و **الحَضِيرِي** ، و **الفهدي** ، و **الطعيسان** في بغداد .
- [٢] **سليمان** ، **وَمِنْهُ** : أسرة **السديس** ، و **الحضيف** ، و **الجفيري** – ومنهم عائلتان باسم السديس – ، و **الفراج** ، و **الحواس** .
- [٣] **عبدالله** ، **وَمِنْهُ** : أسرة **العقيل** أبناء عقيل بن محمد بن عبدالله ، و **الكلية** ، و **البعيمي** ، و **الغازي** ، و **الرشيد** ، و **السعود** .
- [٤] **علي** ، **وَمِنْهُ** : أسرة **الفايزي** ، – ومنهم أسرة **الرعوجي** – ، و **العصيلي** ، و **الخويلدي** ، و **العقيل** أبناء عقيل بن عبدالله بن حمود بن علي بن حمود بن علي .
- [٥] **محمد** ، **وَمِنْهُ** : أسرة **القصير** .

\* قال **عمارة بن علي الحكمي اليمني (ت ٥٦٩ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ** في « النكت العصرية » (ص ٧) : ( وَلَمْ تَزَلْ الْعَرَبُ تَعُدُّ مِنْ أَفْضَلِ أَحْسَابِهَا : ذِكْرَهَا لِأَنْسَابِهَا ، وَمَنْ عَرَفَ الشَّرْفَ لِقَدِيمِهِ ؛ لَمْ يُنْكِرْ صِحَّةَ أَدِيمِهِ ) .

تَشَابَهُوا فِي الْعُلَا حَتَّى كَانَتْهُمْ \*  
 تَشَابَهُوا فِي الْعُلَا حَتَّى كَانَتْهُمْ \*  
 تَشَابَهُوا فِي الْعُلَا حَتَّى كَانَتْهُمْ \*

لَمْ يُفْتَقِدْ لَهُمْ مَيِّتٌ وَلَا افْتَرَقُوا (١)

وَرِثُوا السُّوْدُودَ عَنْ آبَائِهِمْ \* ثُمَّ سَادُوا سُودُودًا، غَيْرَ زَمِيرٍ (٢)

وَهُمْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

هَيْئُونَ لَيْئُونَ أَيْسَارٌ ذُووِ يَسَرٍ \* سُوَاسُ مَكْرَمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ  
 لَا يَنْطِقُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ إِنْ نَطَقُوا \* وَلَا يُمَارُونَ إِنْ مَارُوا بِإِكْتَارٍ

=

فَرُوعٌ لَا تَرِفٌ عَلَيْكَ إِلَّا \* شَهَدَتْ لَهَا عَلَى طَيْبِ الْأَرُومِ  
 وَفِي الشَّرَفِ الْحَدِيثِ دَلِيلٌ صَدِيقٍ \* لِمُخْتَبِرٍ عَلَى الشَّرَفِ الْقَدِيمِ

« ديوان أبي تمام » ط. المعارف المصرية (١٦٣ / ٣)

وَلَوْ كَتَمُوا أَنْسَابَهُمْ لَعَزَّتْهُمْ مَوُ \* وَجُوهٌ، وَفَعَلٌ شَاهِدٌ كُلُّ مَشْهَدٍ

المعري « سقط الزند » (ص ٨٩)

أُمَّةٌ أَوْدَعَتِ التَّارِيخَ مَا \* بَهَرَ الْأَحْفَادَ مِنْ فَخْرِ وَرَاقَا  
 وَصَلَ الْأَحْفَادُ مَجْدًا تَالِدًا \* بِطَرِيفٍ فَازْدَهَى الْمَجْدُ اتِّسَاقًا

« موسوعة مؤلفات الخضر حسين » (١٥٨ / ٧)

(١) « محاضرات الأدباء » للراغب الأصبهاني (١ / ٦٩٨).

(٢) « ديوان طرفة بن العبد البكري الوائلي » (ص ٤٣). الزمير: القليل.

مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقُلْ لَأَقِيَتْ سَيِّدَهُمْ \*

مِثْلَ النُّجُومِ الَّتِي يَسْرِي بِهَا السَّارِي (١)

وَقَدْ يَسَّرَ اللَّهُ **جَلَّ وَعَلَا** لِي مُنْذُ (١٤١٩ هـ) جَمَعَ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَنْسَابِ  
- نَظْرِيًّا دُونَ الْبَحْثِ فِي الْقَبَائِلِ - ثُمَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِأُسْرَتِي الْكَبِيرَةِ « **الْحَمَادِي** »،  
ثُمَّ الْفَرَعِيَّةِ: أُسْرَةَ **الْمَدِينِيهِش**؛ فَطُفْتُ لِأَجْلِهَا كُتِبَ التُّرَاثُ، وَالْمُعَاصِرِينَ،  
وَمِنْهَا: الْمَخْطُوطَاتِ وَالْمَطْبُوعَاتِ النَّجْدِيَّةِ = التَّارِيخِيَّةِ وَالنَّسَبِيَّةِ  
وَالْبُلْدَانِيَّةِ، وَمَا كُتِبَ فِي النَّسَبِ عَامَّةً... مَعَ مُسَاءَلَةِ الْمُهْتَمِّينَ، ثُمَّ اجْتِمَاعِ  
جُمْلَةٍ مِنَ الْوَثَائِقِ الْحَمَادِيَّةِ = الْحَمَادِي... .

وَكَانَ مِنْ تَحَوُّلَاتِ الْمَشْرُوعِ: إِفْرَادُ الْحَمَادِي بِكِتَابٍ مُسْتَقِلٍّ!....!

(١) « عيون الأخبار » لابن قتيبة (٢٢٦/١)، « الكامل » للمبرد (١٠٦/١-١٠٧)،  
« الأمالي » للزجاجي - ط. الغرب - (١٩٢-١٩١/٢) - وعند المبرد والزرجاجي  
القصيدة بتمامها -، « الأمالي » للقالبي (٢٣٩ / ١)، « ديوان المعاني » لأبي هلال  
العسكري (٢٤ / ١)، وقال عقبة: (وهذا عندي أمدحُ شيء قيل في وصف جماعة).  
وفي « الأمالي » أن هارون الرشيد قال لإسحاق بن إبراهيم الموصلبي: أنشدني أحسن  
مدح تحفظه، فأنشده القصيدة ومنها الأبيات السابقة.

فَاسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فِي كِتَابِ الْحَمَادَى وَتَسْبِيحِهِ، تَسْوُسُهُ النِّيَّةُ  
- وَاللَّهُ بِهَا عَلِيمٌ - وَيُسْنِدُهُ تَوْفِيقُ اللَّهِ الْقَدِيرِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَدْ رَأَيْتُ أَثْرَهُ فِي  
كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ، وَاللَّهُ الْمُهَيِّمُ عَلَى الْأُمُورِ، وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا، فَلَا  
مَرَدَّ لَهُ - .

وَقَدْ عَنُونْتُهُ بِ:

« أَسْرُ الْحَمَادَى - نَسَبُهَا، أَسْرُهَا، تَارِيخُهَا، بُلْدَانُهَا، أَعْلَامُهَا،  
مُؤَلَّفَاتُهَا، وَثَائِقُهَا، وَمَعَالِمُ أُخْرَى - » يَسَّرَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تَمَامَهُ .

وَبِمَا أَنَّ الْكِتَابَ سَيِّدَاوُلٌ - بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى - بَيْنَ الْمُهْتَمِّينَ بِالْأَسْرِ  
النَّجْدِيَّةِ، وَلَا يَتَعَدَّهَا إِلَى غَيْرِهِمْ إِلَّا نَادِرًا، رَأَيْتُ أَهْمِيَّةَ إِفْرَادِ  
فَضْلِ: « مُؤَلَّفَاتُهَا = النَّتَاجُ الْعِلْمِيُّ الْمُبَارَكُ لِلْحَمَادَى » بِكِتَابِ مُسْتَقَلٍّ مَعَ  
التَّوَسُّعِ فِيهِ؛ اقْتَرَحْتُ ذَلِكَ فِي مَجْمَعِ، فَبَادَرَ ابْنُ الْعَمِّ الْعَزِيزِ الْغَالِي،  
د. عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْحُمُودِيِّ (مِنَ الْحَمَادَى) بِالتَّبَرُّعِ بِمَجْمَعِ  
هَذَا النَّتَاجِ «بِبُلُوغَرَفِيَّةٍ»، وَهُوَ هُوَ مِنْ أَهْلِهِ وَخَاصَّتِهِ. (١)

(١) دكتور في علم المعلومات في جامعة الملك سعود في الرياض.



بَدَلْ د. عَلِيّ الحُمُودِيّ - جَزَاهُ اللهُ خَيْرَ الْجَزَاءِ وَأَوْفَاهُ - جُهْدًا كَبِيرًا  
فِي الْمَكْتَبَاتِ وَالْمَوَاقِعِ الْمَحَلِّيَّةِ، زِيَادَةً عَلَى اسْتِكْتَابِ أُنْبَاءِ وَبَنَاتِ الْعَمِّ  
جَمِيعًا، فَكَانَ مَا تَرَاهُ لَا مَا تَسْمَعُهُ، ..... وَهِيَ طَبْعَةٌ سَتَعْقُبُهَا طَبَعَاتٌ  
تَتَضَاعَفُ فِيهَا الْأَرْقَامُ - بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى - .

**أَقُولُ - ظَنَّا يُقَارِبُ الْيَقِينِ - : إِنَّ هَذَا التَّأْلِيفَ (١) لَمْ تُسَبِّحِ الْحَمَادِي إِلَيْهِ، (٢) لِأَنَّ جُهُودَ السَّابِقِينَ وَالْمُعَاصِرِينَ فِي أدَلَّةِ وَفَهَارِسِ الْكُتُبِ، عَلَى أَنْحَاءِ شَتَّى :**

١. **فَهَارِسُ عَامَّةٍ عَنِ الْفُنُونِ،** مِثْلُ: « الْفَهْرِسْت » لِابْنِ النَّدِيمِ، وَ « كَشْفُ الظُّنُونِ » لِحَاجِي خَلِيفَةَ، وَ « مِفْتَاحُ السَّعَادَةِ » لِطَاشِ كُبْرِي، وَ « أَبْجَدُ الْعُلُومِ » لِصَدِيقِ خَانَ، وَ « تَارِيخُ التَّرَاثِ » لِسَزْكَينَ، وَ « تَارِيخُ الْأَدَبِ » لِزُوكَلْمَانَ، وَ « مُعْجَمُ الْمَوْضُوعَاتِ الْمَطْرُوقَةِ » لِلْحَبَشِيِّ.
٢. **فَهَارِسُ عِلْمٍ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلُومِ،** مِثْلُ: « التَّفْسِيرُ » ط. مَجْمَعِ الْمَلِكِ فَهْدٍ، « الْحَدِيثُ وَعُلُومُهُ » لِخَيْرِ رَمْضَانَ يُونُسَ، وَ آخِرُ لِأَحْدَبِ، « الْعَقِيدَةُ » د. مُحَمَّدُ الشَّايِعِ، « الْفِقْهُ » قَيْدَ الطَّبَّاعَةِ لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ:

(١) « دليل النتاج العلمي للحماديين » في جزأين، من تأليف ابن العم د. علي بن عبدالعزيز الحمودي (آخر سنة ١٤٤١هـ وأول ١٤٤٢هـ).

(٢) ثم جاء بعدهم على منوالهم: « الإنتاج العلمي لأسرة التويجري - ماجستير، ودكتوراه - » الجزء الأول (٦٢ صفحة) - إعداد د. عبدالله بن غدير بن عبدالله التويجري في « المدينة النبوية » (١١ / ١٤٤٢هـ)، ثم ظهر بعد ذلك الجزء الثاني.

عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ قَاسِمٍ ، « السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ » لِجَمَاعَةِ بِإِشْرَافِ د. مُحَمَّدٍ يُسْرِي ،  
 « الْحِسْبَةُ » لِلشَّيْخِ: بَسَّامِ الْيُوسُفِ ، « اللُّغَةُ » لِخَيْرِ رَمْضَانَ يُوسُفَ ،  
 « الْمَعَاجِمُ اللَّغَوِيَّةُ » لِشَرْقَاوِي ، « كُتُبُ النَّسَبِ الْحَدِيثَةُ » لِلشَّرَافِي ، « مُعْجَمُ  
 كُتُبِ السِّيَرِ الذَّاتِيَّةِ » لِلْحَمْدِ ، وَغَيْرَهَا كَثِيرٌ .

٣. فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتِ مَوْضُوعٍ أَوْ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ ، وَهَذَا كَثِيرٌ  
 مُفْرَدٌ أَوْ مُضَمَّنٌ دَاخِلٌ دِرَاسَةٍ .

٤. فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتِ مَذْهَبٍ مِنَ الْمَذَاهِبِ : مِثْلُ : « مُصَنَّفَاتُ  
 الْحَنَابِلَةِ » لِأ.د. عَبْدِ اللَّهِ الطَّرِيقِي ، وَ « مُعْجَمُ تَرَاثِ الْفِقْهِ الشَّافِعِيِّ » لِعَمَرَ  
 بْنِ مُصْطَفَى بْنِ أَحْمَدَ ، وَغَيْرَهَا .

٥. فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتِ عِلْمٍ مِنَ الْأَعْلَامِ : الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ ، ابْنُ تَيْمِيَّةَ ،  
 ابْنُ الْقَيْمِ ، الدَّانِي ، الْغَزَالِيُّ ، الْبِقَاعِيُّ ، السُّيُوطِيُّ ، السَّخَاوِيُّ ، مُلَّا قَارِي ،  
 وَغَيْرَهَا كَثِيرٌ .

٦. فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتٍ عَنْ كِتَابٍ مُعَيَّنٍ ، مِثْلُ : « دَلِيلُ الْأَعْمَالِ  
 وَالِدِّرَاسَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ » ، « دَلِيلُ الْأَعْمَالِ  
 وَالِدِّرَاسَاتِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ » كِلَاهُمَا تَأَلَّفَا : مَعْهَدِ الشَّاطِبِيِّ ،  
 « عِنَايَةُ الْعُلَمَاءِ بِكِتَابِ التَّوْحِيدِ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ » لِأُسْتَاذِ:  
 عَبْدِ الْإِلَهِ الشَّابَعِ .

٧. **فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتِ بَلَدٍ أَوْ مَدِينَةٍ**، مِثْلُ: بَبْلُو عَرَا فَيَا الْفِلِسْطِينِيِّينَ،  
« مُؤَلَّفَاتِ أَهْلِ الْقَصِيمِ » - قَيْدَ الْإِعْدَادِ - لِأُسْتَاذِ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ  
الْمَرْزُوقِ.

٨. **فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتٍ عَنِ بَلَدٍ أَوْ مَدِينَةٍ**، مِثْلُ: « الْكُتُبُ الْبُلْدَانِيَّةِ عَنِ  
الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ » لِأُسْتَاذَيْنِ: مُحَمَّدٍ مُعَبَّرٍ، وَمَسْعُودِ الْمَسْرَدِيِّ،  
« بَبْلُو جَرَا فَيَّةِ الْبُكَيْرِيَّةِ » لِعَبْدِ الْعَزِيزِ السُّوَيْلَمِ، « بَبْلُو جَرَا فَيَّةِ الْجَوْفِ » لِمُحَمَّدِ  
بْنِ حُلْوَانَ الشَّرَارِيِّ.

٩. **فَهَارِسُ مُؤَلَّفَاتِ أُسْرَةٍ مِنَ الْأَسْرِ**، هَذَا لَا أَعْلَمُهُ مِنْ قَبْلِ مَنْشُورٍ،  
لَا أَعْلَمُ أُسْرَةً وَاحِدَةً، وَلَا فَخِذًا مِنْ أَفْخَاذِ الْقَبَائِلِ أَخْرَجَتْ دَلِيلًا لِتِتَاجِهَا  
الْعِلْمِيِّ وَنَشَرَتْهُ لِلنَّاسِ، **فَالْأَوْلِيَّةُ هُنَا لِلْحَمَادِيِّ**، - وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْفَضْلُ  
وَالْمِنَّةُ - .

## فوائد إخراج دليل النتاج العلمي للأسرة :

١. التَّعَبُّدُ لِلَّهِ **تَبَارَكَ وَتَعَالَى** بِالِدَّلَالَةِ عَلَى الْعِلْمِ.
٢. الْبِرُّ بِالْأَمْوَاتِ **رَحِمَهُمُ اللَّهُ** مِنَ الْآبَاءِ، وَالْأَجْدَادِ .
٣. وَصَلُ خَصَائِصِ الْأَجْدَادِ بِخَصَائِصِ الْأَخْفَادِ، وَإِنَّهَا لَصِلَةٌ مَرْعِيَّةُ الْأَنْسَابِ، مَبْرُورَةُ الْعُهُودِ، مُحْكَمَةُ الْوَثَائِقِ؛ لِيَحْصَلَ بَيْنَهُمَا مَا يَكُونُ مِنَ التَّقَاءِ السَّلْبِ بِالْمُوجِبِ فِي الْقَوَائِنِ الْكَهْرَبَائِيَّةِ: حَرَكَةٌ، وَضَوْءٌ، وَحَرَارَةٌ. (١) ، « وَأَحَقُّ النَّاسِ بِالْمَعَالِي مَنْ كَانَ فِيهَا عَرِيقًا، وَلَا يَكُونُ الْمَرْءُ خَلِيقًا بِهَا إِلَّا إِذَا كَانَ أَبُوهُ بِهَا خَلِيقًا؛ وَإِذَا زَكَتْ أُصُولُ الشَّجَرِ؛ زَكَتْ فُرُوعُهُ، وَلَا يَعْدُبُ مَذَاقُ الْمَاءِ إِلَّا إِذَا طَابَ يَنْبُوعُهُ ». (٢)
٤. الْأَنْفَةُ لِلْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَالْأَعْمَامِ = **لِلْحِمَادِي** مِنْ تَهْضُمٍ أَوْ خُمُولٍ. (٣)

(١) اقتباس من « آثار البشير الإبراهيمي » (٢ / ١٥٣) و (٤ / ١٠٣).

(٢) « الوشي المرقوم » للضياء ابن الأثير (ص ٢٤٠).

(٣) انظر في المعنى: « أدب الدنيا والدين » للماوردي (ص ٢٤٤-٢٤٥).

٥. صَلَّةُ الْأَرْحَامِ، وَمَا أَعْظَمَهَا مِنْ صَلَّةٍ أَنْ يُنْشَرَ دَلِيلٌ لِتَبَاجِ الْأَجْدَادِ، وَالْأَعْمَامِ وَأَوْلَادِهِمْ رَجَالًا وَنِسَاءً .
٦. تَقْوِيَةُ أَوَاصِرِ الْقُرْبَى بَيْنَ الْحَمَادَى: الْقُرْبَى النَّسَبِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ، فَالْعِلْمُ رَحِمٌ بَيْنَ أَهْلِهِ.
٧. نَشْرُ = تَسْوِيقُ النَّتَاجِ الْعِلْمِيِّ.
٨. إِظْهَارُ التَّنَوُّعِ الْعِلْمِيِّ وَالْمَعْرِفِيِّ عِنْدَ الْحَمَادَى.
٩. تَحْفِيزُ النَّاشِئَةِ مِنْ أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا، لِلْعَمَلِ الْعِلْمِيِّ الْمُثْمِرِ.
١٠. دُخُولُ أُسْرَتِنَا الْكَبِيرَةِ « الْحَمَادَى » ضِمْنَ الْأَسْرِ الْعِلْمِيَّةِ، وَتَحْفِيزُهَا لِإِنْشَاءِ مَرَكِّزِ عِلْمِيٍّ بِاسْمِهَا. (١)
١١. الدَّرَاسَاتُ الْعِلْمِيَّةُ حَوْلَ النَّتَاجِ.
١٢. لَا أَقُولُ بِأَنَّ هَذَا النَّتَاجَ الْعِلْمِيَّ لِلْحَمَادَى سَيَكُونُ مِنَ التَّارِيخِ بِالنَّسَبَةِ لِأَحْفَادِنَا، بَلْ دَخَلَ التَّارِيخَ الْآنَ لِحِظَّةِ صُدُورِهِ قَبْلَ أَنْ تَقْرَأَهُ، فَالتَّارِيخُ لِأَيِّ أُسْرَةٍ = عَشِيرَةٍ = أُمَّةٍ، جُزْءٌ مِنْ مَرَاقِيهَا، « وَالْمَرْءُ لَا يَكُونُ

(١) لي مقالٌ بعنوان: « أَيْنَ مَرَاكِزُ الْأَسْرِ الْعِلْمِيَّةِ؟! » نُشِرَ فِي « صَحِيفَةِ الْجَزِيرَةِ » =

« المجلد الثقافي » عدد (٤٣١) بتاريخ (٧/ جمادى الأولى / ١٤٣٥ هـ).

كَيْسًا حَسَّاسًا إِذَا أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ عَن مَاضِيهِ، وَعَن مُسْتَقْبَلِهِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ  
يَبْحَثَ لِلْوُصُولِ إِلَى مَا يَقِفُهُ عَلَى الصَّلَاتِ الَّتِي تَرْبِطُهُ بِأَجْدَادِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ،  
وَبِالْإِنْسَانِيَّةِ أَمْسٍ، وَبِالْإِنْسَانِيَّةِ غَدًا، فَالْمَاضِي يُفَسِّرُ الْحَاضِرَ، وَهَذَا  
يَشْرَحُ الْغَابِرَ، كَمَا قَالَ الْعَارِفُونَ<sup>(١)</sup>. « وَمِنَ السُّنَنِ الْكُونِيَّةِ الْمُقَرَّرَةِ فِي  
سُقُوطِ الْأُمَمِ وَعَدَمِ امْتِدَادِ الْعِزَّةِ وَالرُّقِيِّ فِيهَا: أَنْ يَنْسَى آخِرَهَا مَا تَرَ أَوَّلَهَا؛  
فَيَنْقَطِعَ التِّيَّارُ الدَّفَاعُ؛ فَيَتَعَطَّلَ التَّقَدُّمُ »<sup>(٢)</sup>.

١٣. الْمُسَاهَمَةُ فِي إِبْرَازِ جُزْءٍ مِنَ الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي بِلَادِنَا الْغَالِيَةِ

« الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ ».

١٤. إِبْرَازُ شَيْءٍ مِنَ النَّتَاجِ الْعِلْمِيِّ لِمَنْطِقَةِ الْقَصِيمِ، فَيَدْخُلُ هَذَا

« دَلِيلُ النَّتَاجِ الْعِلْمِيِّ لِلْحَمَادِيِّ » فِي: « مَوْلَفَاتِ أَهْلِ الْقَصِيمِ » لِلْمَرْزُوقِ،  
وَمَنْ سَيَكْتُبُ عَنِ الْحَيَاةِ الْعِلْمِيَّةِ فِي: بُرَيْدَةَ، وَالْبَكِيرِيَّةِ، وَالشُّقَّةِ، وَالْبُصْرِ،  
وَالْبَدَائِعِ، وَالْخَبْرَاءِ، وَغَيْرِهَا.

١٥. سَيَكُونُ هَذَا الدَّلِيلُ بَاعِثًا قَوِيًّا لِبَطَاعَةِ مَا لَمْ يُطْبَعِ تِجَارِيًّا، أَوْ

(١) « أقوالنا وأفعالنا » لكُرد علي (ت ١٣٧٢هـ) (ص ٢٣٤).

(٢) « آثار البشير الإبراهيمي الجزائري » (ت ١٣٨٥هـ) (٤ / ٣٠٩).

نَشْرِهِ تَقْنِيًّا، فَالِدَلِيلُ تَحْرِيكُ لِمُؤَلَّفَاتِ حَبِيسَةِ، الْمُسْتَفِيدُ الْأَوَّلُ مِنْ نَشْرِهَا: صَاحِبُهَا مَيْتًا كَانَ، أَوْ حَيًّا.

١٦. نَشْرُ مَحَاسِنِ وَمَآثِرِ أُسْرَتِنَا الْكَبِيرَةِ «الْحَمَادِي»، فَإِنَّ الْمَآثِرَ تُؤْتِي ثِمَارَهَا إِذَا غَادَرَتِ الْخَوَاصَّ، وَتَدَاوَلَهَا عَامَّةُ النَّاسِ. قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ (ت ٢٧٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ قَبِيلَةٍ لَيْسَ فِيهَا شُعْرَاءُ: (صَارَتْ مَآثِرُهُمْ عِنْدَ خَوَاصِّ النَّاسِ دُونَ عَامَّتِهِمْ، وَالشَّرَفُ وَالسُّؤْدُدُ مَعَ سَوَادِ النَّاسِ وَدَهْمَائِهِمْ). (١)

وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ - أَيْضًا - : (وَكَانَ الْقَبِيلُ مِنَ الْعَرَبِ إِذَا نَشَأَ فِيهِمْ غُلَامٌ فَقَالَ شَيْئًا مِنَ الشُّعْرِ، أَوْ رَجَزَ فِي حِدَاءٍ بَعِيرٍ، أَوْ مَتَحَ بِدَلْوٍ؛ سُرِّبَهُ قَوْمُهُ، وَاسْتَبَشَرَتْ عَشِيرَتُهُ، وَقَدَّمُوهُ وَعَظَّمُوهُ، وَرَشَّحُوهُ لِلْمُنَافِحَةِ عَنْهُمْ، وَالِدَّفَعِ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، وَأَتَاهُ الْأَقَارِبُ، وَالْمُجَاوِرُونَ). (٢)

قَالَ الْمُظَفَّرُ الْعَلَوِيُّ (ت ٦٥٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَقَدْ كَانَتْ الْعَرَبُ تُعَدُّ الشُّعْرَ خَطِيرًا، وَتَرَى الشَّاعِرَ أَمِيرًا، فَإِذَا نَبَغَ فِي الْقَبِيلَةِ شَاعِرٌ هُنَّتْ بِهِ،

(١) «فضل العرب والتنبيه على علومها» لابن قتيبة (ص ١٥٣).

(٢) «فضل العرب» (ص ١٧٥).



وَحُسِدَتْ مِنْ سَبَبِهِ، لِأَنَّهُ يُنَافِحُ عَنْ أَنْسَابِهَا، وَيُكَافِحُ وَيُنَاضِلُ عَنْ أَحْسَابِهَا). (١)

كَذَلِكَ كَانَتْ الْعَشِيرَةُ مِنَ الْعَرَبِ تَفْخَرُ بِصُدُورِ عَمَلٍ مِنْ فَرْدٍ وَاحِدٍ فِيهَا، وَتَنْسِبُ الْمَأْتِرَةَ إِلَيْهَا كُلِّهَا، وَتَفْتَخِرُ بِهِ وَتَفَاخِرُ، « وَالشَّرْفُ يَحْصُلُ لِلشَّيْءِ إِذَا حَصَلَ لِبَعْضِهِ » (٢)، وَ « شَرَفُ الْقَبِيلَةِ بِشَرَفِ بَعْضِ أَفْرَادِهَا ». (٣)  
**قَالَ الْجَاهِظُ ( ت ٢٥٥ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ : « ... تُمَدِّحُ الْقَبِيلَةَ بِفِعْلِ جَمِيلٍ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَّا بِوَاحِدٍ مِنْهَا ».** (٤)

**قَالَ الشَّرِيفُ الْمُرتَضَى ( ت ٤٣٦ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ : ( ... فَعَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي خِطَابِ الْأَبْنَاءِ بِخِطَابِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، وَخِطَابِ الْعَشِيرَةِ بِمَا**

(١) « نَضْرَةُ الْإِغْرِيزِ » ( ص ٢٩٨ ).

**قلت:** أما في زماننا، فلم يعد الشعر كما كان للقبائل والعشائر سابقاً، وأصبح وجود عالم متخصص يجمع تاريخها ونسبها وأعلامها وأخبارها ووثائقها ومؤلفاتها ومقالاتها... أبلغ أثراً وأكثر نفعاً، مع فائدة الشعر بلا شك ولا ريب.

(٢) قاله ابن حجر في « فتح الباري » ( ٦ / ٥٤٣ ).

(٣) « التنوير شرح الجامع الصغير » للصنعاني ( ٧ / ٥٠٢ ).

(٤) « البخلاء » ( ص ٢٣٤ ).

يَكُونُ مِنْ أَحَدِهَا؛ فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: فَعَلْتُ بِنُو تَمِيمٍ كَذَا، وَقَتَلَ بِنُو فَلَانٍ  
فُلَانًا؛ وَإِنْ كَانَ الْقَاتِلُ وَالْفَاعِلُ وَاحِدًا مِنْ بَيْنِ الْجَمَاعَةِ... (١)

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ (ت ٣١٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَالْعَرَبُ قَدْ تُخْرِجُ  
الْخَبَرَ إِذَا افْتَخَرَتْ مَخْرَجَ الْخَبْرِ عَنِ الْجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانَ مَا افْتَخَرَتْ بِهِ مِنْ  
فِعْلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَتَقُولُ: نَحْنُ الْأَجْوَادُ الْكِرَامُ، وَإِنَّمَا الْجَوَادُ فِيهِمْ وَاحِدٌ  
مِنْهُمْ وَغَيْرُ الْمُتَكَلِّمِ الْفَاعِلِ ذَلِكَ). (٢)

وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّ مَقَامَ الْاِفْتِخَارِ مَقَامٌ تَكْثِيرٌ، فَانْتَحَلَتِ الْجَمَاعَةُ فِعْلَ  
الْوَاحِدِ مِنْهُمْ، وَنَسَبُوهُ إِلَيْهِمْ؛ بِنَاءٍ عَلَى أَنَّ شَرْفَهُ وَمَحَاسِنَهُ عَائِدَةٌ عَلَى  
عَشِيرَتِهِ أَوْ قَبِيلَتِهِ. (٣)

هَذَا فِي الرَّجُلِ الْوَاحِدِ الَّذِي قَدَّمَ خَيْرًا يُشَرِّفُ عَشِيرَتَهُ، فَمَا بِالْكَ

(١) «أمالي المرتضى» = غرر الفوائد (٢/ ٢٢٤).

(٢) «جامع البيان» لابن جرير (٨/ ٢٧٠). وانظر: (١٠/ ٦٣١)، و (١/ ٥٣٤).

(٣) «قواعد التفسير» للشيخ د. خالد السبت (١/ ٣١٥)، وانظر: «الأساليب العربية

الواردة في القرآن الكريم وأثرها في التفسير من خلال جامع البيان للطبري» للشيخ:

فواز الشاوش (ص ٦٨١ - ٦٨٥).

بِهَذِهِ الْأَعْدَادِ الْغَفِيرَةِ مِنْ **الْحَمَادِي** رِجَالًا وَنِسَاءً، قَدَّمُوا هَذِهِ الْمُؤَلَّفَاتِ  
وَالْبُحُوثِ فِي شَتَّى الْمَجَالَاتِ !؟  
وَكَيْفَ إِذَا أَضْفَتَ إِلَيْهِمْ غَيْرَهُمْ مِمَّنْ عَمِلَ أَعْمَالًا مُشْرِفَةً فِي نُصْرَةِ  
دِينِهِ، وَوَطَنِهِ، وَوَلَاةِ أَمْرِهِ، وَهُمْ عَدَدٌ جَمٌّ غَفِيرٌ !؟

وَمَا زِلْتَ تَسْمُو لِلْمَكَارِمِ وَالْعُلَى \* وَتَعْمُرُ عِرْزًا مُسْتَتِيرَ الْمَوَارِدِ  
إِذَا عُدَّ أَيَّامَ الْمَكَارِمِ فَافْتَخِرْ \* بِآبَائِكَ الشُّمِّ الطُّوَالِ السَّوَاعِدِ

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى ( ت ٢٠٩ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ : ( قَوْلُهُ : الشُّمُّ  
الطُّوَالُ : الْمُرْتَفَعَةُ ، وَهَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ لِلشَّرَفِ وَالْكَرَمِ ، أَي : أَنْ حَسَبُهُمْ لَا  
يَبْلُغُهُ مَنْ يَفَاخِرُهُ ) . (١)

وَاعْلَمْ يَا بَنَ الْعَمِّ - أَعَزَّكَ اللَّهُ بِدِينِهِ - أَنَّ مَآثِرَ الْأَبَاءِ مَآثِرٌ لِلْأَبْنَاءِ ،  
وَالْعَكْسُ كَذَلِكَ ، فَتَصِحُّ نِسْبَةُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِالْآخَرِ ، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ  
الطَّبْرِيُّ ( ت ٣١٠ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ : ( يَعْنِي بِقَوْلِهِ : ﴿ وَأَيُّ فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾  
( البقرة ، آية ٤٧ ) أَنِّي فَضَّلْتُ أَسْلَافَكُمْ ، فَنَسَبَ نِعْمَهُ عَلَى آبَائِهِمْ وَأَسْلَافِهِمْ إِلَى

(١) « شرح نقائض جرير والفرزدق » لأبي عبيدة معمر بن المثنى ( ٣ / ١٠٦٧ ) ، والبيتان  
لجرير « ديوانه » ( ٢ / ٦٠٥ ) .

أَنَّهَا نِعْمٌ مِنْهُ عَلَيْهِمْ؛ إِذْ كَانَتْ مَآثِرُ الْأَبَاءِ مَآثِرَ لِلْأَبْنَاءِ، وَالنَّعْمُ عِنْدَ الْأَبَاءِ نِعْمًا عِنْدَ الْأَبْنَاءِ، لِكُونَ الْأَبْنَاءِ مِنَ الْأَبَاءِ. (١)

قَالَ عَلِيُّ الْجُرْجَانِيُّ (ت ٣٩٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (شَرَفُ الْوَالِدِ جُزْءٌ مِنْ مِيرَاثِهِ، مُنْتَقِلٌ إِلَى وَلَدِهِ كَانْتِقَالَ مَالِهِ؛ فَإِنْ رُوِعِيَ وَحُرِسَ؛ ثَبَتَ وَازْدَادَ، وَإِنْ أَهْمِلَ وَأُضْيِعَ؛ هَلَكَ وَبَادَ.

وَكَذَلِكَ شَرَفُ الْوَالِدِ يَعُمُّ الْقَبِيلَةَ، وَلِلْوَالِدِ مِنْهُ الْقِسْمُ الْأَوْفَرُ... (٢)  
وَذَكَرَ الْوَاحِدِيُّ (ت ٤٦٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ فِي تَفْضِيلِ الْأَبَاءِ شَرَفًا لِلْأَبْنَاءِ. (٣)

قَالَ الرَّاعِبُ الْأَضْبَهَانِيُّ (ت ٥٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَرِثُ مِنْ أَبِيهِ آثَارَ مَا هُمَا عَلَيْهِ مِنْ جَمِيلِ السَّيْرَةِ وَالْخُلُقِ وَقَبِيحِهِمَا، كَمَا يَرِثُ مُشَابَهَتَهُمَا فِي خَلْقِهِمَا، وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ (سورة الكهف، آية ٨٢)، وَعَلَى نَحْوِهِ رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ فِي التَّوْرَةِ:

(١) «جامع البيان» لابن جرير (١/ ٦٢٩).

(٢) «الوساطة بين المتنبى وخصومه» (ص ٣٧٣)، وعنه: ابن رشيقي في «العمدة» (٢/ ٨٢٧).

(٣) «التفسير الوسيط» (١/ ١٣٣).

« إِنِّي إِذَا رَضَيْتُ بَارَكْتُ وَإِنْ بَرَكَتِي لَتَبْلُغَ الْبَطْنَ السَّابِعَ، وَإِذَا سَخِطْتُ لَعَنْتُ وَإِنْ لَعْنَتِي لَتَبْلُغَ الْبَطْنَ السَّابِعَ » ؛ تَنْبِيْهَا عَلَيَّ أَنَّ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ الَّذِي يَكْسِبُهُ الْإِنْسَانُ وَيَتَخَلَّقُ بِهِ؛ يَبْقَى أَثْرُهُ مُورُوثًا إِلَى الْبَطْنِ السَّابِعِ. (١)

فَقَدْ يَكُونُ شَرَفُ الْقَبِيلَةِ / الْأُسْرَةِ / الْبَلَدَةِ / بِشَرَفِ رَجُلٍ مِنْهَا؛ رَفَعِ ذِكْرَهَا بِالْخَيْرِ، فَأَصْبَحَ شَرَفُهُ = عَمَلُهُ الطَّيِّبُ نَسَبًا لِعَقْبِهِ وَأُسْرَتِهِ وَقَبِيلَتِهِ وَبَلَدَتِهِ. قَالَ أَعْرَابِيٌّ: (مُرُوءَةُ الرَّجُلِ فِي نَفْسِهِ نَسَبٌ لِقَوْمٍ آخِرِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ الْخَيْرَ عُرِفَ لَهُ، وَبَقِيَ فِي الْأَعْقَابِ وَالْأَصْحَابِ، وَلَقِيَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ). (٢) وَنَسَبَ لِحُجْرَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ قَوْلُهُ: (مُرُوءَةُ الرَّجُلِ فِي نَفْسِهِ نَسَبٌ لِعَقْبِهِ وَقَبِيلَتِهِ). (٣)

فَالْخَيْرُ الْمُمَيِّزُ الْكَبِيرُ الَّذِي يَعْمَلُهُ الْإِنْسَانُ؛ يَكُونُ نَسَبًا لِأَحْفَادِهِ وَعَشِيرَتِهِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَنْتُمْ أَحْفَادُ الْعَالِمِ الْفُلَانِيِّ، أَوْ الْكَرِيمِ الْفُلَانِيِّ، أَوْ التَّاجِرِ الْمُحْسِنِ الْفُلَانِيِّ، أَوْ الْأَمِيرِ الصَّالِحِ الْفُلَانِيِّ، أَوْ مِنْ أُسْرَتِكُمْ

(١) « تفصيل الشأتين وتحصيل السعادتين » ط. دار النفائس (ص ٩١).

(٢) « البصائر والذخائر » للتوحيدي (١/١١٥).

(٣) « نثر الدر » للآبي (١/٢٤٧).

وَعَشِيرَتِكُمْ وَبَلَدَتِكُمْ الْعَالِمُ الْفُلَانِيَّ، أَوْ الْمُحْسِنُ الْفُلَانِيَّ؛ فَأَصْبَحَ تَمِيْزُهُ  
نَسَبًا لِعَشِيرَتِهِ، وَلَا أَهْلَ بَلَدَتِهِ.

إِنَّ شُهْرَةَ الْأَجْدَادِ تَبْرُزُ فِي نَسَبِ الْأَخْفَادِ، قَالَ الزَّيْدِيُّ  
(ت ١٢٠٥ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (كَثِيرًا مَا يُنْسَبُ الرَّجُلُ إِلَى جَدِّهِ؛ لِكَوْنِهِ أَشْهَرَ،  
أَوْ أَفْخَرَ، أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ، أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبُ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ».) (١)

مِثَالُهُ: الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنِ مَنِيعِ الْبَغَوِيِّ (ت ٣١٧ هـ)،  
صَاحِبُ «مُعْجَمِ الصَّحَابَةِ» مَنِيعُ نَسَبَةً إِلَى جَدِّهِ لِأُمِّهِ: أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعِ،  
صَاحِبُ «الْمُسْنَدِ». (٢)

(١) «تاج العروس» (١ / ٢٤٤).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤ / ٤٤٠).

قَوْلُ الزَّيْدِيِّ وَنَسَبُ ابْنِ مَنِيعِ اسْتَفْدَتْهُمَا مِنْ بَحْثِ: «النَّسَبُ إِلَى الْجَدِّ وَأَثْرُهَا عَلَى  
الرِّوَاةِ وَالْمَرْوِيَّاتِ» (ص ٨٨) أ.د. يَحْيَى الْبَكْرِي الشَّهْرِي، نُشِرَ فِي مَجَلَّةِ جَامِعَةِ أَم  
الْقُرَى، مَجَلَد (١٥)، عَدَد (٢٧)، جُمَادَى الثَّانِيَةَ (١٤٢٤ هـ).

## أيها المؤمنون:

مَنْ اسْتَقَامَ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ **عَزَّوَجَلَّ**، وَأَحْسَنَ فِي الْخَيْرِ، وَأَحْسَنَ إِلَى عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى؛ ضَمَّ مَآثِرَ أَجْدَادِهِ التَّلِيدَةِ إِلَى مَآثِرِهِ الطَّارِفَةِ الْحَمِيدَةِ .  
**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ:  
**« تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ، فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَفَهُوا... )**. (١)

**قَالَ النَّوَوِيُّ ( ت ٦٧٦ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ :** ( الْمَعَادِنُ : الْأُصُولُ . وَإِذَا كَانَتْ الْأُصُولُ شَرِيفَةً ؛ كَانَتْ الْفُرُوعُ كَذَلِكَ غَالِبًا .  
 وَالْفَضِيلَةُ فِي الْإِسْلَامِ بِالتَّقْوَى ، لَكِنْ إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهَا شَرَفُ النَّسَبِ ؛  
 اَزْدَادَتْ فَضْلًا ) . (٢)

**قَالَ الْخَطَّابِيُّ ( ت ٣٨٨ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ :** ( مَنْ كَانَتْ لَهُ مَآثِرَةٌ وَشَرَفٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَسْلَمَ وَحَسَنَ إِسْلَامُهُ وَفَقِهَ فِي الدِّينِ ؛ فَقَدْ أَحْرَزَ مَآثِرَتَهُ

(١) « صحيح البخاري » (٣٣٨٣) و (٣٤٩٣)، و « صحيح مسلم » (٢٥٢٦).

(٢) « شرح النووي على مسلم » (٧٨ / ١٦) .

الْقَدِيمَةَ وَشَرَفَهُ التَّلِيدَ إِلَى مَا اسْتَفَادَهُ مِنَ الْمَزِيدِ بِحَقِّ الدِّينِ، وَمَنْ لَمْ يُسَلِّمْ؛ فَقَدْ هَدَمَ شَرَفَهُ وَضَيَّعَ قَدِيمَهُ. (١)

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ (ت ٥٤٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَصْلُ الْمَعَادِنِ: الْأُصُولُ الشَّرِيفَةُ تُعَقَّبُ أُمَّثَالَهَا وَيَسْرِي كَرَمُ أَخْلَاقِهَا إِلَى نَسْلِهَا، وَلَكِنْ لَا خِيَارَ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا بِالتَّقَى وَالْفَقْهِ، وَلَا فَضِيلَةَ إِلَّا بِخِصَالِ الشَّرِيعَةِ، لَكِنْ مَنْ اتَّفَقَ لَهُ ذَلِكَ مَعَ أَصْلِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ حَمِيدِ الْأَخْلَاقِ شَرِيفِ الطَّبَّاعِ - وَهُوَ الْحَسَبُ -؛ كَمَلَّتْ فَضِيلَتُهُ، وَبَانَتْ مَرْتَبَتُهُ. (٢)

قَالَ ابْنُ هُبَيْرَةَ (ت ٥٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (شَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ بِالْمَعَادِنِ؛ لِأَنَّ الْمَعَادِنَ مِنْهَا مَا يُنْبِتُ الذَّهَبَ، وَمِنْهَا مَا يُنْبِتُ النُّحَاسَ، فَالنَّاسُ يَخْتَلِفُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ صَالِحًا، وَيَكُونُ مَا يَدْرُونَهُ فِي الْغَالِبِ عَلَى جَنْسِهِمْ، فَإِذَا بَدَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُمْ؛ اسْتَنَكْرُوهُ،

(١) «أعلام الحديث» (٣ / ١٥٧٨).

(٢) «إكمال المعلم» (٧ / ٥٦٣)، وانظر: «شرح مسند الشافعي» للرافعي (٣ / ٤٢٨)،

«المفهم» للقرطبي (٦ / ٢٢٧).



فَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿يَأْتِيَتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ

بَغِيًّا﴾ (سورة مريم، آية ٢٥) (١)

فَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ هَذَا يَقَعُ فِي الْأَكْثَرِ، وَقَدْ نَدَرَ أَنْ يَأْتِيَ  
الْحَيْثُ مِنَ الطَّيِّبِ، وَيَأْتِي الطَّيِّبُ مِنَ الْحَيْثُ. (٢)

قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ (ت ٦٣٣ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (... فَالْتَسُّبُ مِنْ جُمْلَةِ  
الْأَحْوَالِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْكَمَالُ، وَطَيْبُ الْأَعْرَاقِ مُؤْذِنٌ بِكَرَمِ الْأَخْلَاقِ،  
فَإِذَا اجْتَمَعَ إِلَى فَضْلِ الذَّاتِ فَضْلُ الْمُقَدَّمَاتِ؛ كَمَلَّتِ الْحَالَاتُ...). (٣)

قَالَ الطَّيِّبِيُّ (ت ٧٤٣ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (فَالْتَفَاؤُتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ  
بِحَسَبِ الْأَنْسَابِ، وَشَرَفِ الْأَبَاءِ، وَكَرَمِ الْأَصْلِ؛ وَفِي الْإِسْلَامِ بِحَسَبِ  
الْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ، فَالْشَّرَفُ الْأَوَّلُ مَوْزُونٌ، وَالثَّانِي مُكْتَسَبٌ). وقال: (إِذَا  
تَحَلَّى الرَّجُلُ بِالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ؛ اسْتَجَلَبَ النَّسَبَ الْأَصْلِيَّ، فَيَجْتَمِعُ شَرَفُ  
النَّسَبِ مَعَ شَرَفِ الْحَسَبِ، انْظُرْ إِلَى الْمُنْقَبَةِ السَّنِيَّةِ كَيْفَ رَدَّ تَيْمُنَهَا وَبَرَكَتَهَا

(١) انظر ما سيأتي (ص ٨٦-٨٨).

(٢) «الإفصاح عن معاني الصحاح» (٦ / ٦٨).

(٣) «التنوير في مولد السراج المنير والبشير النذير» (ص ١٣٣).

مَا رَفَعَهُ الْإِسْلَامُ مِنَ الشَّرَفِ الْمَوْرُوثِ؟!  
 وَفَهُمْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْوَضِيْعَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَلِّيَّ بِالْعِلْمِ أَرْفَعُ مَنْزِلَةً مِنْ  
 الشَّرِيفِ الْمُسْلِمِ الْعَاطِلِ (...). (١)

قَالَ ابْنُ عُثَيْمِينَ (ت ١٤٢١ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (... فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى  
 أَنَّ الْإِنْسَانَ يَشْرَفُ بِنَسَبِهِ، لَكِنْ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ فِقْهُ فِي دِينِهِ، وَلَا شَكَّ  
 أَنَّ النَّسَبَ لَهُ أَثَرٌ، وَلِهَذَا كَانَ بَنُو هَاشِمٍ أَطْيَبَ النَّاسِ وَأَشْرَفَهُمْ نَسَبًا، وَمِنْ  
 ثَمَّ كَانَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ الْخَلْقِ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ  
 حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (سورة الأنعام، آية ١٢٤)، فَلَوْلَا أَنَّ هَذَا الْبَطْنَ مِنْ بَنِي  
 آدَمَ أَشْرَفَ الْبَطُونَ، مَا كَانَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَا يُبْعَثُ الرَّسُولُ  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا فِي أَشْرَفِ الْبَطُونَ وَأَعْلَى الْأَنْسَابِ. (٢)

(١) « شرح المشكاة » (٢ / ٦٦١ - ٦٦٢).

(٢) « شرح رياض الصالحين » لابن عثيمين - ط. الثامنة عشرة - (١ / ٥٠٠).

قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ كما في « مجموع الفتاوى » (٢٨ /  
 ٥٤٣): ( إِنَّمَا يُفْضَلُ الْإِنْسَانُ بِإِيْمَانِهِ وَتَقْوَاهُ؛ لَا بِأَبَائِهِ؛ وَلَوْ كَانُوا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ أَهْلُ  
 بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْجَنَّةَ لِمَنْ أَطَاعَهُ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَخَلَقَ

=

=

النَّارَ لِمَنْ عَصَاهُ وَلَوْ كَانَ شَرِيفًا فُرْشِيًّا، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ (سورة الحجرات، آية ١٣).

وَفِي «السُّنَنِ» عَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَىٰ أَيْبُضَ، وَلَا لِأَيْبُضَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ. النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ».

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لِقَبِيلَةِ قَرِيبَةٍ مِنْهُ: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّ اللَّهِ وَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ». فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ مَوَالَاتِهِ لَيْسَتْ بِالْقَرَابَةِ وَالنَّسَبِ؛ بَلْ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ. (٢)

**وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ - أَيْضًا - :** (... وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَأَوْلِيَاؤُهُ الْمُتَّقُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ قَرَابَةُ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ. وَهَذِهِ الْقَرَابَةُ الدِّيْنِيَّةُ أَعْظَمُ مِنَ الْقَرَابَةِ الطَّبِئِيَّةِ، وَالْقُرْبُ بَيْنِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ أَعْظَمُ مِنَ الْقُرْبِ بَيْنِ الْأَبْدَانِ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ أَوْلِيَاؤُهُ الْمُتَّقُونَ، وَأَمَّا أَقَارِبُهُ فَفِيهِمْ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ، وَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، فَإِنْ كَانَ فَاضِلًا مِنْهُمْ كَعَلِيٍّ، وَجَعْفَرٍ، وَالْحَسَنِ، وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَتَفْضِيلُهُمْ بِمَا فِيهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، وَهُمْ أَوْلِيَاؤُهُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ، لَا بِمَجَرَّدِ النَّسَبِ، فَأَوْلِيَاؤُهُ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنْ آلِهِ، وَإِنْ صَلِّيَ عَلَىٰ آلِهِ تَبَعًا لَهُ؛ لَمْ يَفْتَضِلْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا أَفْضَلَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الَّذِينَ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ هُمْ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَهُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الصَّلَاةِ مَعَهُ تَبَعًا، فَالْمَفْضُولُ قَدْ يَخْتَصُّ بِأَمْرٍ، وَلَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنَ الْفَاضِلِ،

=

=

وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ أَزْوَاجَهُ هُمْ مِمَّنْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، كَمَا ثَبَتَ ذَلِكَ فِي « الصَّحِيحَيْنِ »، فَقَدْ ثَبَتَ بِاتِّفَاقِ النَّاسِ كُلِّهِمْ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ كُلِّهِمْ. (٢)

وَقَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ أَيْضًا رَحِمَهُ اللَّهُ كَمَا فِي « مِنْهَاجِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ » (٢١٨/٨ - ٢٢٠): (لَمْ يُثْنِ اللَّهُ عَلَى أَحَدٍ فِي الْقُرْآنِ بِنَسَبِهِ أَصْلًا: لَا عَلَى وَلَدِ نَبِيٍّ، وَلَا عَلَى أَبِي نَبِيٍّ، وَإِنَّمَا أَثْنَى عَلَى النَّاسِ بِإِيمَانِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

وَإِذَا ذَكَرَ صِنْفًا وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ؛ فَلَمَّا فِيهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، لَا لِمُجَرَّدِ النَّسَبِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ الْأَنْبِيَاءَ - ذَكَرَهُمْ فِي الْأَنْعَامِ وَهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ - قَالَ: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبَتِهِمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة الأنعام، آية: ٨٧). فَبِهَذَا حَصَلَتْ الْفَضِيلَةُ بِاجْتِبَائِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهَدَايَتِهِ إِيَّاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، لَا بِنَفْسِ الْقَرَابَةِ.

وَقَدْ يُوجِبُ النَّسَبُ حُقُوقًا، وَيُوجِبُ لِأَجْلِهِ حُقُوقًا، وَيَعْلَقُ فِيهِ أَحْكَامًا مِنَ الْإِنْبِغَابِ وَالتَّحْرِيمِ وَالْإِبَاحَةِ، لَكِنَّ الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ وَالْوَعْدَ وَالْوَعْدَ عَلَى الْأَعْمَالِ لَا عَلَى الْأَنْسَابِ ... ..) **إِلخ كلامه المهم.** وانظر أيضًا « مِنْهَاجِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ » (٤ / ٦٠٠).

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عُثَيْمِينَ (ت ١٤٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي « شَرْحِ رِيَاضِ الصَّالِحِينَ » لِابْنِ عُثَيْمِينَ - ط. الثامنة عشرة - (٢ / ٧٥١): (... الْحِكْمَةُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ جَعَلَنَا شُعُوبًا وَقَبَائِلَ، لِأَجْلِ أَنْ يَعْرِفَ بَعْضُنَا بَعْضًا، هَذَا عَرَبِيٌّ، وَهَذَا عَجَمِيٌّ، هَذَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَهَذَا مِنْ قُرَيْشٍ، هَذَا مِنْ خُرَاعَةَ، وَهَكَذَا.

فَاللَّهُ جَعَلَ هَذِهِ الْقَبَائِلَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعْرِفَ بَعْضُنَا بَعْضًا، لَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَفْخَرَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَيَقُولُ: أَنَا عَرَبِيٌّ وَأَنْتَ عَجَمِيٌّ، أَنَا قَبِيلِي وَأَنْتَ غَيْرُ قَبِيلِي، أَنَا غَنِيٌّ وَأَنْتَ

=

=

فَقِيْرٌ، هَذَا مِنْ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - ، لَمْ يَجْعَلِ اللهُ هَؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ إِلَّا مِنْ أَجْلِ التَّعَارُفِ لَا مِنْ أَجْلِ التَّفَاخُرِ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبَيْةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْآبَاءِ: مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، وَفَاجِرٌ سَقِيٌّ؛ أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ ».

فَالْفَضْلُ فِي الْإِسْلَامِ بِالتَّقْوَى، أَكْرَمُنَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ أَتَقَانَا لِلَّهِ عَزَّوَجَلَّ، فَمَنْ كَانَ لِلَّهِ أَتَقَى؛ فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَكْرَمٌ.

وَلَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ بَعْضَ الْقَبَائِلِ أَوْ بَعْضَ الشُّعُوبِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ، فَالْشُّعْبُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هُوَ أَفْضَلُ الشُّعُوبِ، شُعْبُ الْعَرَبِ أَفْضَلُ الشُّعُوبِ، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (سورة الأنعام، آية ١٢٤).

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « النَّاسُ مَعَادِنٌ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَفَهُوا ».

وَلَا يَعْنِي هَذَا إِهْدَارَ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ بِالْكُلِّيَّةِ، لَكِنْ التَّفَاخُرُ هُوَ الْمَمْنُوعُ، أَمَّا التَّفَاضُلُ فَإِنَّ اللَّهَ يُفَضِّلُ بَعْضَ الْأَجْنَاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَالْعَرَبُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ، جِنْسُ الْعَرَبِ أَفْضَلُ مِنْ جِنْسِ الْعَجَمِ، لَكِنْ إِذَا كَانَ الْعَرَبِيُّ غَيْرَ مُتَّقٍ وَالْعَجَمِيُّ مُتَّقِيًّا، فَالْعَجَمِيُّ عِنْدَ اللَّهِ أَكْرَمٌ مِنَ الْعَرَبِيِّ).

فَالْأُصُولُ النَّسَبِيَّةُ وَالْأَحْسَابُ الرَّضِيَّةُ ؛ مَرَعِيَّةٌ خَاصَّةٌ إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهَا  
التَّقْوَى وَالصَّلَاحُ وَالْعِلْمُ الشَّرْعِيُّ وَنَفْعُ الْمُسْلِمِينَ. (١)

لِذَا ، بِإِحْسَانِكُمْ أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ تَزِيدُونَ آبَاءَكُمْ وَأَجْدَادَكُمْ شَرَفًا،  
كَمَا أَنَّهُمْ زَادُوكُمْ شَرَفًا، قَالَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ ( ت ٦٩٤ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ : ( إِنَّ  
شَرَفَ الْأَبْنَاءِ مَنْقِبَةٌ لِلآبَاءِ كَعَكْسِهِ، وَلَمْ تَزَلْ الْعَرَبُ تَتَمَدَّحُ بِمَفَاخِرِ آبَائِهِمْ،  
فَلَا يَبْعُدُ فِي الْأَبْنَاءِ مِثْلُهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ ). (٢)

« وَكَمَا يَشْرَفُ الْوَالِدُ بِشَرَفِ الْوَالِدِ، فَقَدْ يَشْرَفُ الْوَالِدُ بِشَرَفِ الْوَالِدِ،  
وَلِلَّهِ دَرُّ ابْنِ الرَّؤْمِيِّ فِي قَوْلِهِ:

(١) انظر: « إكمال المعلم » للقاضي عياض (٧ / ٣٦٢).

(٢) « الرياض النضرة » (١ / ٢٦٥).

**فائدة:** أبو حيان التوحيدي، ومسكويه يُنكران أن الابن بأفعاله يُشرفُ آباءه وأجداده،  
ويريان أن التشريف من الأب للابن لا العكس... « الهوامل والشوامل » لمسكويه  
- ط. أحمد أمين، وأحمد صقر - ( ص ١٩٧ ) رقم (٨٠).

**قلت:** وليس بصحيح ما ذكره .

وَكَمْ أَبٍ قَدْ عَلَا بِابْنِ ذُرِّي حَسَبٍ <sup>(١)</sup> \*

كَمَا عَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ عَدَنَانُ <sup>(٢)</sup>

إِذَنْ « قَدْ يَفِيضُ شَرَفُ الْإِنْسَانِ حَتَّى يَسْتَطِيلَ عَلَى مَنْ قَبْلَهُ مِنْ سَلَفِهِ؛ فَتَحِيَا رُسُومَهُمْ بَعْدَمَا كَانَتْ دَائِرَةً، وَتَعْمُرُ رُبُوعَهُمْ بَعْدَمَا كَانَتْ غَامِرَةً ». <sup>(٣)</sup>

فَ « الْخَصْلَةُ الْحَمِيدَةُ تَكُونُ مَفْخَرَةً لِمَنْ اتَّصَفَ بِهَا، وَلِمَنْ انْتَسَبَ إِلَى مَنْ اتَّصَفَ بِهَا، فَيَشْرَفُ نَسَبُهُ بِذَلِكَ... وَالْمُتَنَسِبُ إِلَى الْأَشْرَفِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَشْرَفًا ». <sup>(٤)</sup> و « فَخْرُ الْأَبَاءِ فَخْرٌ لِلْأَبْنَاءِ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا نِعَمَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْهِمْ بِهَذِهِ الْمَآثِرِ، وَأَنْ يَقُومُوا بِشُكْرِهَا وَذِكْرِهَا » <sup>(٥)</sup>، وَأَنْ

(١) كذا في « المحاضرات » لليوسي، وبعض كتب الأدب، ولفظه في « ديوان ابن الرومي » تحقيق: د. حسين نصار (٦ / ٢٤٢٥): شرف... علا. وهو كذلك في غالب كتب الأدب.

(٢) « المحاضرات في اللغة والأدب » للحسن اليوسي (ت ١١٠٢هـ) (١ / ٥٧).

(٣) « المحاضرات في اللغة والأدب » لليوسي (١ / ٧٤).

(٤) « المحاضرات في اللغة والأدب » (١ / ٥٣ و ٥٧).

(٥) « لباب التأويل » للخازن (ت ٧٤١هـ) (١ / ٤٠) بتصرف.

يَعْمَلُوا بِهَا وَيَزِيدُوهَا، « وَالشَّرْفُ يَتَجَدَّدُ بِسَبَبِ مِنَ الْأَسْبَابِ، وَيَزْدَادُ بِهِ الشَّرِيفُ شَرَفًا » (١).

وَإِذَا شَارَفْتَ (٢) غَيْرَكَ بِعِرَاقَةِ الْأَصْلِ، وَفَرَاهَةِ الْحَسَبِ، فَلْيَكُنْ بِمَا يَقْتَرِنُهُ مِنْ أَسَائِكَ بِأَجْدَادِكَ وَقِيَامِكَ بِمَسَاعِيهِمْ وَأَكْثَرُ؛ أَمَّا الْأَفْتِحَارُ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ، فَادِّعَاءُ أَجْوَفٍ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَهُوَ مِنْ طَبَائِعِ الْعَامَّةِ لَا الْخَاصَّةِ. (٣).

وَلَنْ تَنْفَعَكَ عِرَاقَةُ الْأَصْلِ مَعَ ضَالَّةِ الْحَسَبِ! وَكَمْ مِنْ مَعْمُورِ النَّسَبِ، عَرِيقٌ فَارُهُ الْحَسَبِ؟  
وَ « لَا مِرَاءَ فِي أَنْ الْأُبُوءَ لِلْمَسَاعِي لَا لِلْأَنْسَابِ، وَأَنَّ الْأَعْتِزَاءَ إِلَى الذِّكْرِ الْبَاقِي لَا إِلَى التُّرَابِ » (٤).

(١) « المحاضرات في اللغة والأدب » للحسن اليوسي (٧٢ / ١) بتصرف يسير.

(٢) شَارَفْتُ الرَّجُلَ: أَي فَاخَرْتُهُ أَيُّنَا أَشْرَفُ. « الصحاح » للجوهري (٤ / ١٣٨٠).

(٣) انظر: « الهوامل والشوامل » لمسكويه (ص ٣٤٢).

(٤) « الوشي المرقوم » للضياء ابن الأثير (ص ٢٧٠).



**أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ - رَفَعَ اللَّهُ قَدْرَكُمْ -** ، إِنَّ مَا نُشَاهِدُهُ مِنْ  
 الْخَيْرَاتِ الْعِلْمِيَّةِ، وَالْعَمَلِيَّةِ، مَعَ النَّسَبِ وَالْحَسَبِ الطَّيِّبِ أَصْلًا وَفَرْعًا، لَا  
 يَدْعُونَا لِلْفَخْرِ وَالتَّكَاسُلِ، بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَسْعَى فِي الزِّيَادَةِ مِنَ الْخَيْرَاتِ  
 وَالتَّقَى، لِنَفْعَ أَنْفُسِنَا وَرَفَعَتَهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَعَلَيْنَا التَّوَاصِي دَوْمًا  
 بِالْبُعْدِ عَنْ كُلِّ مَا يُكَدِّرُ هَذِهِ النَّتَائِجَ الطَّيِّبَةَ الْمُتَوَارِثَةَ حَسِيًّا وَمَعْنَوِيًّا، قَالَ  
**شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ (ت ٧٢٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ :** ( .... فَلِهَذَا كَانَ أَهْلُ  
 الْأَنْسَابِ الْفَاضِلَةِ يُظَنُّ بِهَمُّ الْخَيْرِ، وَيُكْرَمُونَ لِأَجْلِ ذَلِكَ . فَإِذَا تَحَقَّقَ مِنْ  
 أَحَدِهِمْ خِلَافٌ ذَلِكَ، كَانَتْ الْحَقِيقَةُ مُقَدَّمَةً عَلَى الْمَظَنَّةِ . وَأَمَّا مَا عِنْدَ اللَّهِ  
 فَلَا يَثْبُتُ عَلَى الْمَظَانِّ وَلَا عَلَى الدَّلَائِلِ، إِنَّمَا يَثْبُتُ عَلَى مَا يَعْلَمُهُ هُوَ مِنْ  
 الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ، وَلَا يَجْتَزِيءُ بِالْمَظَنَّةِ؛ فَلِهَذَا كَانَ  
 أَكْرَمُ الْخَلْقِ عِنْدَهُ أَتْقَاهُمْ.

فَإِذَا قُدِّرَ تَمَائِلُ اثْنَيْنِ عِنْدَهُ فِي التَّقْوَى؛ تَمَائِلًا فِي الدَّرَجَةِ، وَإِنْ كَانَ  
 أَبُو أَحَدِهِمَا أَوْ ابْنُهُ أَفْضَلَ مِنْ أَبِي الْآخَرِ أَوْ ابْنِهِ، لَكِنْ إِنْ حَصَلَ لَهُ سَبَبٌ

نَسْبِهِ زِيَادَةً فِي التَّقْوَى؛ كَانَ أَفْضَلَ لِرِيَادَةِ تَقْوَاهُ... (١).

وَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: (...تُحْمَدُ الْأَنْسَابُ الْفَاضِلَةَ؛ لِأَنَّهَا مَظِنَّةُ عَمَلِ الْخَيْرِ؛ فَأَمَّا إِذَا ظَهَرَ الْعَمَلُ، فَالْجَزَاءُ عَلَيْهِ، وَأَكْرَمُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ). (٢)

**أَيْهَا الْحَمَادَى - أَسْعَدَكُمُ اللَّهُ وَأَسْعَدَ بِكُمْ -** « إِنَّ شَرَفَ النَّسَبِ يُتَقَوَّمُ مِنْ شَرَفِ الْقَوْمِ وَشَرَفِ الْعَشِيرَةِ، وَمِنْ نَزَاهَةِ سِلْسِلَةِ الْأَبَاءِ وَالْأُمَّهَاتِ عَنْ أَنْ يَلْتَصِقَ بِهِمَا مَا يَثْلُمُ ذَلِكَ الشَّرْفَ، وَيَعُودُ نَقْصُهُ بِفَضَاضَةٍ فِي شَرَفِ الْخَلْفِ » (٣)، و« الْأَنْسَابُ لَيْسَتْ مِنْ كَسْبِ الْإِنْسَانِ حَتَّى يَكُونَ قُرْبَةً تَجْرُ الْأَجْرَ، أَوْ مَفْخَرَةً تَرْفَعُ الذِّكْرَ، وَإِنَّمَا يَثَابُ الْعَامِلُ عَلَى كَسْبِهِ وَيَفْخَرُ الْفَاخِرُ بِعَمَلِهِ ». (٤)

(١) « منهاج السنة النبوية » (٨ / ٢١٦).

(٢) « مجموع الفتاوى » (٤ / ٣١٢).

(٣) « جمهرة مقالات ورسائل الطاهر ابن عاشور » (٢ / ٥١٤).

(٤) « آثار البشير الإبراهيمي » (٤ / ٣٢٩) بتصرف يسير .

قَالَ الطَّاهِرُ ابْنُ عَاشُورٍ (ت ١٣٩٣ هـ) رَحِمَهُ اللهُ: ( لَا يُعَدُّ النَّسَبُ مِنْ الْفَضَائِلِ الذَّاتِيَّةِ، وَإِنَّمَا يُعَدُّ فَضِيلَةً مِنْ حَيْثُ هُوَ وَسِيْلَةٌ إِلَى نَمَاءِ الْفَضَائِلِ فِي النَّفْسِ الْمَطْبُوعَةِ عَلَى الْفَضِيلَةِ، وَقُدْوَةٌ لِلْخَلْفِ يَأْتَسُونَ بِهَا آثَارَ أَسْلَافِهِمْ فِي مُرْتَقَى الْكَمَالِ، فَيَحْصُلُ مِنْ ذَلِكَ كَمَا لَانَ: كَمَالُ الذَّاتِ وَكَمَالُ الْقُدْوَةِ؛ وَمِنْ حَيْثُ هُوَ قَاطِعٌ لِأَلْسِنَةِ الْحَاسِدِينَ الَّذِينَ يَحْسِدُونَ أَهْلَ الْكَمَالِ عَلَى كَمَالِهِمْ، وَالْمُعَانِدِينَ لِكُلِّ مَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى خَلْعِ ذَمِيمِ أَعْمَالِهِمْ، فَإِذَا لَمْ يَجِدُوا مَغْمَزًا فَيَمْنُ حَسَدُوهُ وَعَانَدُوهُ التَّمَسُّوْا لَهُ مَا يَحْفُ بِهِ مِنَ الْعَوَارِضِ، وَلَا شَيْءٍ يَحْفُ بِالْمَرْءِ أَشَدُّ بِهِ تَعَلُّقًا مِنْ حَالِ آبَائِهِ). (١)

قَالَتْ الْأَدِيبَةُ جَدِيْلَةُ: « النَّسَبُ الْجَلِيْلُ أُعْطِيَتْ رَبَّانِيَّةٌ، لَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مَعْنَى لَمَّا اصْطَفَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رَسُوْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَعْرَقِ الْأَنْسَابِ، لَكِنَّ أَفْتَهُ: أَنَّهُ قَدْ يُكْسِبُ الْخَاوِي وَهُمْ الْفَوْقِيَّةَ وَهُوَ لَوْ بِيْعَ فِي سُوْقِ الْمَجْدِ بِثَمَنِ بَخْسٍ، مَا اشْتَرَاهُ أَحَدٌ... فَتَجِدُ الْعَارِي مِنَ الْعِلْمِ وَالْخُلُقِ وَالْمُرُوَّةِ يَزْدَرِي مَنْ زَيْنَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِهَذِهِ الْأَمْجَادِ؛ اتِّكَالًا عَلَى مَحْتَدِهِ». (٢)

(١) « جمهرة مقالات ورسائل الطاهر ابن عاشور » (٢ / ٥١٣).

(٢) جديلة @jadelah10 (١٩ / ١٢ / ١٤٤١ هـ).

قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: « لَا يَكُونُ الشَّرْفُ بِالنَّسَبِ <sup>(١)</sup> ! أَلَا تَرَى أَنَّ  
 أَخَوَيْنِ لِأَبٍ وَأُمٍّ يَكُونُ أَحَدُهُمَا أَشْرَفَ مِنَ الْآخَرِ؟! وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ مِنْ  
 قِبَلِ النَّسَبِ لَمَا كَانَ لِأَحَدٍ مِنْهُمُ عَلَى الْآخَرِ فَضْلٌ، لِأَنَّ نَسَبَهُمَا وَاحِدٌ،  
 وَلَكِنَّ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّ الشَّرْفَ إِنَّمَا هُوَ بِالْفَضْلِ لَا بِالنَّسَبِ ».   
 قَالَ الشَّاعِرُ:

أَبُوكَ أَبِي وَالْجَدُّ لَا شَكَّ وَاحِدٌ \* وَلَكِنَّا عُودَانِ آسٍ وَخِرْوَعٌ <sup>(٢)</sup>

(١) النَّسَبُ مَظَنَّةُ الشَّرْفِ، وَاَنْظُرْ: « الْأَخْلَاقُ وَالسِّيَرُ » لِابْنِ حَزْمٍ (ص ١٦٣) فِي حَدِيثٍ لَهُ  
 جَمِيلٌ يُعَالِجُ فِيهِ الْمُتَبَلِّغُ بِالْعُجْبِ بِنَسَبِهِ.

(٢) « الْمَحَاسِنُ وَالْأَضْدَادُ » الْمَنْسُوبُ لِلْجَاحِظِ (ص ١٤٩)، وَ« الْمَحَاسِنُ وَالْمَسَاوِي »  
 لِإِبْرَاهِيمِ الْبِيهَقِيِّ (ص ١٠٢). قَالَ الْأَصْمَعِيُّ كَمَا فِي « لِسَانِ الْعَرَبِ » (٨ / ٦٨):  
 (وَكُلُّ نَبْتٍ ضَعِيفٍ يَتَشَبَّهُ أَيَّ نَبْتٍ كَانَ، فَهُوَ خِرْوَعٌ). وَالْآسُ: شَجَرٌ مَعْرُوفٌ، كَثِيرٌ  
 بِأَرْضِ الْعَرَبِ، يَنْمُو حَتَّى يَكُونَ شَجَرًا عِظَامًا. اَنْظُرْ: « تَاجُ الْعُرُوسِ » (١٥ /  
 ٤٢٥).

**فائدة (١):** لَا تَصِحُّ نِسْبَةُ كِتَابِ « الْمَحَاسِنُ وَالْأَضْدَادُ » لِلْجَاحِظِ، اَنْظُرْ تَحْقِيقَ ذَلِكَ فِي  
 كِتَابِ « مِنْهَجِ تَحْقِيقِ نِسْبَةِ النَّصْرِ النُّشْرِيِّ » د. مُحَمَّدٌ عَلِيٌّ عَطَا (ص ٢٥٢ - ٢٦٠).

**فائدة (٢):** فِي الْجَامِعَةِ الْأُرْدُنِيَّةِ رِسَالَةٌ لِجَاسْتِيرٍ لِعَمْرِ ذِيَابٍ أَبُو هِنِيَّةً، بِعَنْوَانِ: « مُوَازَنَةٌ  
 بَيْنَ كِتَابِ الْمَحَاسِنِ وَالْأَضْدَادِ لِلْجَاحِظِ وَكِتَابِ الْمَحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي لِلْبِيهَقِيِّ  
 - دَرَاةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ - » تَقَعُ فِي (١٧٢ صَفْحَةً)، (١٤٢٩ هـ).

إِنِّي أُحِيلُكُمْ أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ عَلَى أَنْسَابِكُمْ فَهِيَ أَرْحَامٌ، وَعَلَى دِينِكُمْ فَهُوَ عُرْوَةٌ اعْتِصَامٌ، وَعَلَى أَدَبِكُمْ وَمُرُؤَاتِكُمْ فَهِيَ قَوَامٌ، وَعَلَى خَصَائِصِكُمْ وَسِمَاتِكُمْ فَهِيَ شَرَفٌ وَذِمَامٌ. أَنْتُمْ أَبْنَاءُ عَمِّ قَرِيْبُونَ، رَحِمٌ مَاسَّةٌ، وَأَعْرَاضٌ مَحْفُوظَةٌ، « الْقَرَابَةُ مَوْضِعُ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْعَرَضُ مَحَلُّ الْمَدْحِ وَالذَّمِّ عِنْدَ النَّاسِ » (١)، فَحَافِظُوا عَلَيَّ سَمْعَتِكُمْ، وَقَوْمُوا عَلَيَّ الْمُرُوءَةَ وَالْأَدَابَ فِي خَطِّ مُسْتَقِيمٍ، كَأَسْتِقَامَةِ قُلُوبِكُمْ، فَاللَّهُ اللَّهُ **آلِ الْحَمِيدِيِّ** بِخِلَالٍ وَخِصَالٍ، وَهَمَمٍ تَشْتَقُّ عَنْ فِعَالٍ، نُرِيدُ بِنَاءَ مَا ثَرَّ، وَتَشْيِيدَ أَمْجَادٍ وَمَحَامِدَ، نُرِيدُ رُؤْيَةَ مَسَاعٍ مِنَ الْكِرَامِ إِلَى الْمَكَارِمِ، وَدَوَاعٍ مِنَ الْعُظَمَاءِ إِلَى الْعِظَائِمِ، نُرِيدُ عَزَائِمَ لَا تَعْرِفُ الْهَزَائِمَ، وَعِزَّةً وَكَرَامَةً، وَشِدَّةً فِي الْحِفَاطِ وَصِرَامَةً، اللَّهُ اللَّهُ **أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ** بِطَمُوحٍ وَجَمُوحٍ: طَمُوحٍ إِلَى مَنَازِلِ الْعِزِّ، وَجَمُوحٍ عَنْ مَوَاطِنِ الذُّلِّ، نُرِيدُ رُجُوعَةً وَبُطُولَةً، وَأَصَالََةً وَفُحُولَةً، وَطَبْعًا أَصِيلًا، وَرَأْيًا جَلِيلًا، وَلِسَانًا بَلِيغًا، وَعَقْلًا عَلَيَّ الْحِكْمَةَ دَلِيلًا. (٢)

(١) « آثار البشير الإبراهيمي » (٤ / ١٤٠).

(٢) اقتباس من « آثار الإبراهيمي » (٤ / ٢٦٨).

قَالَتْ الْأَدِيبَةُ جَدِيلَةٌ: (يُوصَفُ طَرِيقُ الْمَجْدِ دَائِمًا أَنَّهُ شَاقٌّ مَحْفُوفٌ بِالْمَكَارِهِ، مَعَ أَنَّ طَرِيقَ الْكَسَلِ وَالتَّوَانِي أَشَدُّ شُقَّةً وَعَذَابًا مِنْهُ... لَكِنَّ مَكَارِهِ الْكَسَلِ مُوجَّهَةٌ، وَمَكَارِهِ الْمَجْدِ مُعْجَلَةٌ فِي أَوَّلِهِ... كِلَا الطَّرِيقَيْنِ يَغْشَى سَالِكُهُمَا الْكَبَدَ وَالْعَنَاءَ، لَا رَاحَةَ عَلَى أَرْضِ الدُّنْيَا، فَاخْتَرِ أَيَّ عَنَاءٍ شِئْتَ). (١)

قَالَ شَكِيبُ أَرْسَلَانَ (ت ١٣٦٦ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَلَمَّا كَانَ مِنَ الْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ الثَّابِتَةِ الْمُقَرَّرَةِ عِنْدَ الْأَطِبَّاءِ وَالْحُكَمَاءِ، كَمَا هِيَ مُقَرَّرَةٌ عِنْدَ الْأُدَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ: أَنَّ الْأَخْلَاقَ وَالْمِوَالَ وَالتَّنَزَّعَاتِ الْمُخْتَلِفَةَ تُتَوَارَثُ كَمَا تُتَوَارَثُ الْأَمْرَاضُ وَالْأَعْرَاضُ الصَّحِيَّةَ، وَالدَّمَاءُ الْجَارِيَّةَ فِي الْعُرُوقِ، فَقَدْ كَانَ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَنْسَابِ حَتَّى يَسْعَى كُلُّ فَرِيقٍ فِي إِصْلَاحِ نَوْعِهِ بِطَرِيقِ التَّرْقِيَةِ وَالتَّهْدِيبِ، ضِمْنَ دَائِرَةِ الدَّمَوِيَّةِ، بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهَا الْفِطْرِيِّ؛ لِأَنَّ الْأَجْتِهَادَ فِي تَنْمِيَةِ الْقَرَائِحِ الطَّبِيعِيَّةِ وَالْمَوَاهِبِ اللَّدْنِيَّةِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُثْمَرَ ثَمَرُهُ فِي قَبِيلٍ إِذَا جَاءَ مُعَاكِسًا لِاسْتِعْدَادِهِ الْفِطْرِيِّ، وَهَذِهِ الْأَسْتِعْدَادَاتُ

(١) جديلة @jadelah10 (٨ / ٣ / ١٤٤٢ هـ).

أَحْسَنُ دَلِيلٍ عَلَيْهَا هُوَ عِلْمُ الْأَنْسَابِ (١).  
 وَهَذَا مَا يُقَالُ عَنْهُ: الْعِرْقُ دَسَّاسٌ = نَزَاعٌ، وَيُسَمَّى بَعْضُهُمْ مِيرَاثَ  
 الْأَبْنَاءِ طَبَائِعِ الْأَجْدَادِ: قَانُونِ الرَّجْعَةِ، أَوْ مُمَائِلَةَ الْجُدُودِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ  
 يَعُودُ عَلَى صُورَةِ أَجْدَادِهِ الْأَوَّلِينَ كَمَا قَالَهُ كُرْدٌ عَلِيٌّ  
 (ت ١٣٧٢ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَالَ أَيضًا: « وَقَلَّ أَنْ تَخَلَّفَتْ قَاعِدَةُ الْوَرَاثَةِ  
 حَتَّى بَعْدَ قُرُونٍ طَوِيلَةٍ ». (٢) وَبَعْضُهُمْ يَعْتَبِرُ تَخَلُّفَ طَبَائِعِ الْفُرُوعِ عَنِ  
 الْأُصُولِ عَلَامَةً هُجْنَةٍ وَدَخْنٍ. (٣)

(١) « الأنساب » طُبعت ملحقًا بكتاب « الارتسامات اللطاف = الرحلة الحجازية »  
 (ص ٤٠٧).

(٢) « أقوالنا وأفعالنا » (١٥٥-١٦١). وانظر في المعنى أيضًا: « جمهرة مقالات ورسائل  
 الطاهر ابن عاشور » (٢ / ٥١٩).

(٣) انظر: « آثار البشير الإبراهيمي » (٣ / ٤١٠).

**فائدة:** قَالَ الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ: بَكَرُ أَبُو زَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ « خَصَائِصُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ »  
 (ص ٩٣-٩٤): (وَإِذَا كَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ مَحَا الْعَصَبِيَّةَ الْقَبَلِيَّةَ الْمَمْقُوتَةَ، فَإِنَّ الْمُحَافَظَةَ  
 عَلَى سَلْسِلِ النَّسَبِ مَطْلُوبَةٌ؛ وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى نَقَاءِ النُّطْفِ وَأَنْسَابِهَا لَا تَعْنِي الْعَصَبِيَّةَ  
 بِحَالٍ..... إِلَى أَنْ قَالَ: وَاعْتَبَارُ الْكَفَاءَةِ لَهُ آثَارٌ حَسَنٌ فِي التَّرْبِيَةِ، وَعِزَّةُ الدَّارِ، وَقِيَامُ  
 الْأَخْلَاقِ، وَمَنَهِجُ الشَّرَفِ...).

وَالْعَرَبُ تَقُولُ: عِرْقُ السُّوءِ يَنْجُثُ<sup>(١)</sup> وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ. أَي: يُسْتَخْرَجُ مِنْهُ مَا هُوَ كَامِنٌ فِيهِ.<sup>(٢)</sup>

رُوي عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: « النَّاِئِحُ مُعْتَرِسٌ، فَلْيَنْظُرْ أَيْنَ يَضَعُ عَرَسَهُ، فَإِنَّ عِرْقَ السُّوءِ لَا بُدَّ أَنْ يَنْزِعَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ». <sup>(٣)</sup>  
**قَالَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِيٍّ لِبَنِيهِ: « يَا بَنِيَّ، لَا يَغْلِبَنَّكُمْ جَمَالُ النِّسَاءِ عَنْ صِرَاحَةِ النَّسَبِ، فَإِنَّ الْمَنَاكِحَ الْكَرِيمَةَ مَدْرَجَةٌ لِلشَّرَفِ ».** <sup>(٤)</sup>

**إِذْنٌ تُؤَثِّرُ الْأَعْرَاقُ - حَسَنَةٌ كَانَتْ أَوْ سَيِّئَةٌ - فِي الْأَخْفَادِ = الْوَرَاثَةِ،**  
**فَيَقْتَضِرُونَ بِحُسْنِهَا، وَيَهْجُونَ بِمَسَاوِئِهَا، وَيَتَجَنَّبُهُمُ النَّاسُ لِأَجْلِهَا، لِذَا**  
**عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ - أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ، وَرَفَعَ قَدْرَكُمْ - أَنْ تُحَافِظُوا**  
**عَلَى الْأَعْرَاقِ الطَّيِّبَةِ الَّتِي تَنْصُ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالشَّيْمِ وَجَمِيلِ الطَّبَائِعِ،**

(١) النَّجْثُ: إِبْرَازُ شَيْءٍ وَسَوْءَةٌ. « مَقَائِيسُ اللُّغَةِ » (٥ / ٤٠٠).

(٢) « جَمَهْرَةُ الْأَمْثَالِ » لِأَبِي هَلَالِ الْعَسْكَرِيِّ (ت ٣٩٥ هـ) (١ / ١٨).

(٣) « الْاِسْتِيعَابُ » لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ (٣ / ١٠٣٦)، « تَارِيخُ الْإِسْلَامِ » لِلذَّهَبِيِّ (٢ / ٥٢٣).

(٤) انظُرْ: « الْمَعْمُرُونَ وَالْوَصَايَا » لِأَبِي حَاتِمِ السَّجِسْتَانِيِّ (ص)، « جَمَهْرَةُ الْأَمْثَالِ » لِأَبِي

هَلَالِ الْعَسْكَرِيِّ (١ / ١٨)، « أَدَبُ الدُّنْيَا وَالدِّينِ » (ص ٢٥٣)، « بَهْجَةُ الْمَجَالِسِ »

(٣ / ٣٥).



وَأَنْ تُجَدِّدُوا الْمَآثِرَ وَتُحَسِّنُوا، ثُمَّ تَعُودُوا، ثُمَّ تَتَعَاهَدُوهَا بِاسْتِمْرَارٍ؛ لِيَرِثَ أَحْفَادُكُمْ الْمَكَارِمَ وَالسُّمَعَةَ الطَّيِّبَةَ. (١)

**قَالَ شَكِيبُ أَرْسَلَانُ (ت ١٣٦٦ هـ) رَحِمَهُ اللهُ :** ( وَنَحْنُ لَوْ نَظَرْنَا إِلَى

السَّبَبِ فِي حِفْظِ النَّسَبِ، لَا نَجِدُهُ مُنْحَصِرًا فِي مَعْرِفَةِ التَّارِيخِ، وَلَا فِي الْأُمْتِيَازَاتِ الْمَادِّيَّةِ الَّتِي يَحُوزُهَا أَصْحَابُ النَّسَبِ فِي الْعَادَةِ، وَلَكِنْ هُنَاكَ غَرَضٌ آخَرَ مِنْ ذَا وَذَا، وَهُوَ: تَوَارُثُ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تَهْتَفُ بِالْفَضَائِلِ وَالْأَفْعَالِ الْمَجِيدَةِ الَّتِي تُزَكِّي الْأَنْفُسَ.

فَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ أَصْلَ الْبُيُوتِ الشَّرِيفَةِ هُوَ أَنْ يَبْرَعَ أَحَدُ النَّاسِ عَلَى أَقْرَانِهِ، وَيُبْدَأَ أَبْنَاءَ زَمَانِهِ بِطَبِيعَةٍ مُمْتَازَةٍ فِيهِ، فَدَتُكُونُ أَسْبَابُهَا النَّفْسِيَّةِ مَجْهُولَةً، وَإِنَّمَا آثَارُهَا فِي أفعالِهِ، فَيَمْتَازُ بَيْنَ قَوْمِهِ، وَتَحْصُلُ لَهُ رِئَاسَةٌ وَسُودْدٌ، وَيَشِيعُ ذِكْرُهُ، وَيَرْتَفِعُ شَأْنُهُ، وَتَتَمَنَّى الْحَامِلُ أَنْ تَلِدَ مِثْلَهُ، وَهَذَا يُقَالُ لَهُ: **الْمَجْدُ الطَّرِيفُ.**

(١) انظر: «الهوامل والشوامل» لمسكويه (ص ٢٣٣)، ومقال للدكتور الطيب: حامد الغوايبي بعنوان: «الإرث التناسلي بين الطب والإسلام» في «مجلة الرسالة» العدد (٩١٠).

وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَعْقَبَ نَسْلًا، اجْتَهَدَ نَسْلُهُ أَنْ يَقْتَدُوا بِهِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ،  
 حَتَّى يَمْتَازُوا بِالْأَخْلَاقِ الَّتِي امْتَازَ بِهَا آبَاؤُهُمْ، وَيَحُوزُوا مِثْلَ مَا حَازَ مِنَ  
 الشَّرَفِ وَالسُّودِدِ، وَتَعَبَ رَهْطُهُمْ فِي تَقْوِيَةِ هَذِهِ الرُّوحِ فِيهِمْ؛ طَمَعًا فِي  
 اسْتِبْقَاءِ هَذِهِ الْغَرَائِزِ الَّتِي أَوْرَثَهُمْ إِيَّاهَا سَلْفُهُمْ، وَهِيَ الَّتِي تُغْرِبُهُمْ  
 بِالْفَضَائِلِ، وَتُبْعِدُهُمْ عَنِ الرِّذَائِلِ، وَتَرْتَفِعُ بِهِمْ عَنِ سَفَاسِفِ الْأُمُورِ، وَيُقَالُ  
 لِهَذَا: **الْمَجْدُ التَّيِيدُ**.

وَلِهَذَا كَانَ مِنَ الْعَادَةِ أَنَّهُ إِذَا أَقْدَمَ أَحَدُ أَبْنَاءِ الْبُيُوتَاتِ الْكَرِيمَةِ عَلَى  
 عَمَلٍ خَسِيسٍ، كَانَ أَوَّلَ مَا يُقَرَّعُهُ النَّاسُ، وَيُهَيَّبُونَ بِهِ إِلَى التَّوْبَةِ مِنْهُ، أَنْ  
 يَقُولُوا لَهُ: أَفَلَسْتَ أَنْتَ ابْنُ فُلَانٍ؟! أَوْ مِنْ آلِ فُلَانٍ؟! أَيَجْمَلُ بِكَ أَنْ  
 تَفْعَلَ مَا هُوَ كَذَا وَكَذَا؟! فَمَا تَرَكَتَ لِلسُّوقَةِ وَالطَّغَامِ؟! وَأَشْبَاهَ هَذِهِ  
 الْأَقْوَالِ الَّتِي تَدُلُّ دِلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّ الْأَصَالََةَ مَفْرُوضٌ فِيهَا أَنْ تَقْتَرِنَ  
 بِالنَّبَالَةِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: إِنَّ الْأَصِيلَ فِي نَسَبِهِ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَاضِلًا فِي  
 عَمَلِهِ، بَارِعًا بِأَدَبِهِ، وَمَا جَاءَ عَلَى خِلَافِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ يُعَدُّ شَاذًا.

فَإِذَا تَقَرَّرَ عِنْدَنَا هَذَا، تَقَرَّرَ أَنَّ حِفْظَ النَّسَبِ هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ حِفْظِ  
 الْفَضَائِلِ، وَإِمْتِنَاعِ الْمُجْتَمَعِ بِهَا، وَمَتَى كَثُرَتِ الْفَضَائِلُ فِي الْمُجْتَمَعِ؛ تَرَقَّتِ

الْأُمَّةُ وَعَرَجَتْ فِي سُلْمِ النَّجَاحِ، وَأَصْبَحَتْ أُمَّةً عَزِيزَةً غَالِبَةً؛ لِأَنَّ الْأَخْلَاقَ الْفَاضِلَةَ هِيَ الْأَسَاسُ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا كَيْانُ الْأُمَّمِ. (١)

قَالَ الْبَشِيرُ الْإِبْرَاهِيمِيُّ الْجَزَائِرِيُّ ( ت ١٣٨٥ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ : ( وَمَتَى

شَعَرَ الْإِنْسَانُ الصَّحِيحُ الْفِطْرَةَ بِزَكَاءِ الْأَصْلِ وَطَهَارَةِ الْمَنْبِتِ؛ تَحَرَّكَتْ فِيهِ نَوَازِعُ النَّخْوَةِ، وَهَاجَتْ بِهِ عُرُوقُ الْأَصَالَةِ وَالْعِتْقِ، فَكَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً لَهُ إِلَى الْعُرُوفِ عَنِ الدَّنَايَا، وَالتَّعَلُّقِ بِأَسْبَابِ الشَّرَفِ وَالْكَمَالِ، وَحُسْنِ التَّأْسِّي فِي مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ . وَبَعْضُ هَذَا هُوَ سِرُّ سُلُوكِ الْمُرَبِّينَ لِلْأُمَّمِ فِي إِشْرَابِهَا تَارِيخَهَا، وَاسْتِنَارَتِهَا بِسِيرِ أَمْجَادِهَا وَأَبْطَالِهَا... ) (٢).

إِنَّ عَرْضَ مَآثِرِ الْأَجْدَادِ الطَّيِّبَةِ، وَنَقْلَ مَوَاقِفِهِمْ وَقَصَصِهِمْ؛ تَبَعَتْ عَلَى الْمُحَاكَاةِ، فَيُثَبَّتَ الْخَيْرُ فِي الْأَبْنَاءِ طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ، « وَالنُّفُوسُ تُؤْخَذُ بِالْأَحْتِدَاءِ وَالْمُحَاكَاةِ أَكْثَرَ مِمَّا تُؤْخَذُ بِالْجِبَلَةِ وَالطَّبْعِ » (٣) وَبِشَبَاتِهِ لَا يَحْتَاجُ

(١) « الأنساب » طُبعت ملحقاً بكتاب « الارتسامات اللطاف = الرحلة الحجازية »

(ص ٤٢٧- ٤٢٨).

(٢) « آثار البشير الإبراهيمي الجزائري » ( ١ / ٣٩٤ ).

(٣) اقتباس من « آثار البشير الإبراهيمي » ( ١ / ٢٨٥ ).

الْأَخْفَادُ إِلَى بَحْثٍ وَمُسَاءَلَةٍ عَنْ مَحَاسِنِ أَجْدَادِهِمْ، مَا دَامَتْ مُوثَقَةً حَرْفًا وَصَوْتًا، فَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اسْتِبَانَتِهِ إِلَّا أَنْ يَسْمَعَ وَاعٍ فَيُطْرِقُ، وَيَرَى مُبْصِرٌ فَيُحْدِقُ مُسْتَبْشِرًا، ثُمَّ يَزْتَعُ تَالِيًا دَاعِيًا مُسْتَحْفِظًا.

قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ (ت ٦٧ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ( لَا يَزَالُ الْعَرَبُ بِخَيْرٍ مَا تَذَاكُرُوا الْأَحْسَابَ وَأَحْيَوْهَا، وَأَخَذُوا بِصَالِحِ مَا كَانَ عَلَيْهِ سَلْفُهُمْ وَأَغْلَظُوا وَلَمْ يَكُونُوا فَوْضَى، وَتَعَايَرُوا الدَّنَاءَةَ، وَأَقَالُوا الْأَحْيَاءَ، وَأَعْفَوْا الْأَمْوَاتَ، وَلَمْ يَعُدُّوا الْحِلْمَ ذُلًّا ).<sup>(١)</sup>

قِيلَ: لَا زِينَةَ أَحْسَنُ مِنْ زِينَةِ الْحَسَبِ، وَلَا حَسَبَ لِمَنْ لَا أَدَبَ لَهُ،<sup>(٢)</sup> وَلَا أَدَبَ لِمَنْ لَا مُرُوءَةَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ مِمَّنْ لَا حَسَبَ لَهُ؛ بَلَغَ بِهِ أَدَبُهُ مَرَاتِبَ ذَوِي الْأَحْسَابِ.<sup>(٣)</sup>

(١) «أنساب الأشراف» للبلاذري (١٢ / ٣٢٠).

(٢) وقالوا: لا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ. «الأدب الصغير» لابن المقفع (ص ٨٩).

(٣) «المروءة» للمرزبان (ص ٥٩)، «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢ / ٣١٠)،

وانظر: «روضة العقلاء» (ص ٢٣٢).

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ (ت ١١٠ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ ضَمَّنَ نَصِيحَتِهِ لِلْخَلِيفَةِ  
عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ: (.... عَلَيْكَ بِذَوِي الْأَحْسَابِ، فَإِنَّهُمْ إِنْ  
لَمْ يَتَّقُوا اسْتَحْيَوْا، وَإِنْ لَمْ يَسْتَحْيُوا تَكَرَّمُوا).  
عَلَّقَ أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ: صَدَقَ وَاللَّهُ الْحَسَنُ  
- وَكَانَ صَدُوقًا - وَقَدْ رَأَيْتُ مَنْ تَوَقَّى بِحَسْبِهِ مَا لَمْ يَتَوَقَّهْ ذُو الْوَرَعِ  
بِوَرَعِهِ. (١)

قَالَ الْجَاحِظُ (ت ٢٥٥ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا كَرَمُ الْأَرْوَمَةِ  
وَالْحَسَبِ، وَبَعْدُ الْهَمَّةِ وَكَثْرَةُ الْأَدَبِ، وَالثَّبَاتُ عَلَى الْعَهْدِ إِذَا زَلَّتْ  
الْأَقْدَامُ، وَتَوَكُّيدُ الْعَقْدِ إِذَا انْحَلَّتْ مَعَاقِدُ الْكِرَامِ، وَإِلَّا التَّوَاضُّعُ عِنْدَ

(١) « البصائر والذخائر » (٢ / ٢٦)، « محاضرات الأدباء » (١ / ٦٩٥)، « ربيع الأبرار »  
(٥ / ١٦٣).

هذا، وإن من محاسن هذه المناشط العلمية والإعلامية التي مَنَّ اللَّهُ عَزَّجَلَّ بِإيجادها في  
الحمادئ بدءاً من (١٨ / شعبان / ١٤٤١ هـ) أن تُلِّفَتْ انتباه الحمادئ كُلُّهُمْ، خَاصَّةً  
الناشئة إلى الحسب والصِّيت الذي ورثوه، ليحافظوا عليه، وليكونوا أزعاً عما يكدر  
هذه السمعة الحسنة المباركة.

حُدُوثِ النُّعْمَةِ، وَاحْتِمَالِ كُلِّ العَثْرَةِ، وَالنَّفَادُ فِي الكِتَابَةِ، وَالإِشْرَافُ عَلَى الصَّنَاعَةِ.

وَالكِتَابُ هُوَ القُطْبُ الَّذِي عَلَيْهِ مَدَارُ عِلْمِ مَافِي العَالَمِ وَأَدَابِ المُلُوكِ، وَتَلْخِيصُ الأَلْفَاظِ وَالغَوْصُ عَلَى المَعَانِي السَّدَادِ..... (١).

ذُكِرَتِ البُيُوتَاتُ عِنْدَ الخَلِيفَةِ الأُمَوِيِّ: هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ (ت ١٢٥هـ) رَحِمَهُ اللهُ فَقَالَ: البَيْتُ مَا كَانَ لَهُ سَالِفَةٌ، وَلَا حِقَّةٌ، وَعِمَادٌ حَالٍ، وَمَسَاكٌ دَهْرٍ. فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ بَيْتٌ قَائِمٌ.

أَرَادَ بِالسَّالِفَةِ مَا سَلَفَ مِنْ شَرَفِ الآبَاءِ، وَاللَّاحِقَةَ مَا لَحِقَ مِنْ شَرَفِ الأَبْنَاءِ، وَبِعِمَادِ الحَالِ: الثَّرْوَةَ، وَبِمَسَاكِ الدَّهْرِ: الجَاهُ عِنْدَ السُّلْطَانِ. (٢).

فَالْحَسْبُ حَسْبُ النَفْسِ، مَعَ الأَعْتِدَادِ بِحَسَبِ الآبَاءِ، وَاحْتِسَابِهَا كَمَا سَبَقَ فِي قَوْلِ ابْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ، وَلَا يَصِحُّ تَرْكُ أَحَدِ الأَمْرَيْنِ، قَالَ عِزُّ الدِّينِ الأَزْدِيُّ المُهَلَّبِيُّ (ت ٦٤٤هـ) رَحِمَهُ اللهُ: (الأَقْتِصَارُ عَلَى مَآثِرِ

(١) «المودة والخلطة» = رسائله (٤ / ٢٠٤).

(٢) «الشكوى والعتاب» للثعالبي (ص ٢٥٠) رقم (٧٦٨)، «ربيع الأبرار» للزمخشري

(٤ / ١٠)، «التذكرة الحمدونية» (٢ / ٢٨).

الْجُدُودِ وَأَفْعَالِ الْأَبَاءِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُضَافَ إِلَيْهَا مِنْ أَفْعَالِ النَّفْسِ؛ نَقْصٌ،  
وَتَرْكُ مَا ثَرَّ الْأَبَاءِ مِنْ غَيْرِ اعْتِدَادٍ بِهَا؛ جَهْلٌ، وَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا؛  
فَضْلٌ ...). (١)

بِمَا سَبَقَ، وَغَيْرُهُ، حُقِّقْنَا نَحْنُ الْحَمَادِيُّ أَوْلَاً، وَأَلُّ هُوَيْمِلٍ ثَانِيَاً،  
وَأَلُّ أَبِي رَبَّاعٍ (٢) = «أَشْيَقْرُ» ثَالِثَاً، وَبَنُو بَكْرِ بْنِ وَاِئِلٍ رَابِعَاً أَنْ نَفْرَحَ  
بِالْأَحْسَابِ وَالْمُنْجَزَاتِ، وَنَتَحَدَّثَ عَنْهَا كُلَّهَا حَامِدِينَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ،  
شَاكِرِينَ مُثْنِينَ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، مُصَلِّينَ عَلَيَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ.  
ثُمَّ شَاكِرِينَ كُلِّ مَنْ قَدَّمَ لِلْحَمَادِيِّ خَيْرًا مِنَ الْأَفْكَارِ وَالْمُخَطَّطَاتِ  
وَالْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ الصَّادِقَةِ الصَّالِحَةِ الْمُثْمِرَةِ خَيْرًا لِلْجَمِيعِ، فَجَزَى اللَّهُ  
خَيْرَ الْجَزَاءِ مَنْ قَدَّمَ لِلْحَمَادِيِّ خَيْرًا.

(١) «الماخذ على شرح ديوان أبي الطيب المتنبي» (١٩٥ / ٥).

(٢) أَلُّ أَبِي رَبَّاعٍ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ بَلَدَةِ «أَشْيَقْر» إِلَى «مَنْطِقَةِ سَدِير» سَنَةَ ٨٠٠ هـ -  
تَقْرِيبًا، وَيُوجَدُ أَسْمَاءُ مُشَاهِبَةٌ فِي مَنَاطِقٍ أُخْرَى مِنْ قِبَائِلٍ أُخْرَى، وَلَيْسُوا مِنْ بَكْرِ بْنِ  
وَائِلٍ.

**أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ - أَسْعِدْكُمْ اللَّهُ فِي الدَّارَيْنِ - لَا يَظُنُّ أَحَدٌ مِنْكُمْ**  
 أَنَّ هَذَا الْمَوْضُوعَ مِنْ بَابِ الْفَخْرِ بِالْأَحْسَابِ، الَّذِي وَرَدَ النَّهْيُ فِيهِ، كَمَا فِي  
 حَدِيثِ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَرْبَعٌ  
 فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي  
 الْأَنْسَابِ، وَالْأَسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ...» (١).

هَذَا الْكِتَابُ «الْحَمَادِيَّة»، مَا ذَكَرَ مِنْ بَابِ الْفَخْرِ بِالْأَحْسَابِ (٢)، بَلْ

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٩٣٤).

(٢) قال الزجاجي رَحِمَهُ اللَّهُ في «الأمالي» - ط. الغرب - (٣ / ١٣٦٣): (الحسب: الكرم والشرف، قال أهل اللغة: اشتقاق الحسب من قولك: حسبت الشيء إذا عدتته، فكأنه الذي يعدُّ لنفسه مآثر وأفعالاً حسنة، أو يعدُّ آباءً أشرافاً).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ في «مشارق الأنوار» (١ / ٤٣١): (أصل الحسب الأفعال الحسنة كأنها مأخوذة من الحسب، كأنه تحسب له خصاله الكريمة. وحسب الرجل آباؤه الكرام الذين تعدُّ مناقبهم وتُحسب عند المُفَاخَرَةِ. والحسب والحسب: العدُّ). قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ في «أدب الكاتب» (ص ٨٥): (الحسب من الرجال الذي يعدُّ لنفسه مآثر وأفعالاً حسنة، أو يعد آباءً أشرافاً).

وفي «المصباح المنير» (١ / ١٣٤): (الحسب: الفعال له ولآبائه، مأخوذ من الحسب وهو عدُّ المناقب؛ لأنهم كانوا إذا تفاخروا حسب كل واحد مناقبه ومناقب



=

آبائه...).

قال أبو علي الحسن القيسي (ت في القرن ٦ هـ) رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «إيضاح شواهد الإيضاح» (١ / ٦٨): (والمجد والكرم والشرف والحسب بمعنى واحد، ومن الناس من فرّق بينهما، فقال: الشرف والمجد لا يكونان إلا في الآباء والأجداد، والكرم والحسب يوصف بهما الرجل الذي له آباء أشراف، ويوصف بهما الرجل أيضاً الذي يشرف بنفسه.

وهذا التقدير تحكّم من قائله، لأن الشرف: مشتق من الإشراف والعلو، فكل من علا غيره بفضّل في نفسه، أو في آبائه، فقد استحقّ أن يُسمّى شريفاً. وكذلك المجد: من قولهم: مَجَدَتِ الإبِلُ مُجُوداً إذا شَبِعَتْ مِنَ الكَلَأِ، وأمجدَها صاحبها، فكلُّ من كَثُرَتْ مَنَاقِبُهُ، وَحَسُنَتْ أفعالُهُ، فَهُوَ مَاجِدٌ).

قال المناوي رَحِمَهُ اللهُ في شرح الحديث كما في «فيض القدير» (١ / ٤٦٢): (أي الشرف بالآباء، والتعظيم بعد مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم؛ وذلك جهل، فلا فخر إلا بالطاعة ولا عزّ لأحدٍ إلا بالله. والأحساب: جمع حسب وهو: ما يعده المرء من الخصال له أو لآبائه من نحو شجاعة وفصاحة).

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ اللهُ في «تيسير العزيز الحميد» (ص ٣٨٩) في شرح الحديث: (أي: التشرف بالآباء والتعظيم بعد مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم، وذلك جهل عظيم، إذ لا شرف إلا بالتقوى كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآلَتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَدُّكُمْ ﴾. وروى أبو داود عن أبي هريرة

=

لِأَهْدَافٍ سَبَقَ ذِكْرُهَا، وَلَوْ فُرِضَ أَنَّهُ مِنْ بَابِ الْفَخْرِ، فَهُوَ فِي الْفَخْرِ الْمَحْمُودِ بِمَآثِرِ وَأَعْمَالِ الْأُسْرَةِ الْمُبَارَكَةِ، وَبِالنَّتَاجِ الْعِلْمِيِّ الطَّيِّبِ لِلْحَمَادَى، فَخْرًا لَا يُقْصَدُ بِهِ التَّكَبُّرُ وَالْأَسْتِعْلَاءُ وَالرُّكُونُ إِلَيْهِ دُونَ الْجِدِّ وَالْأَهْتِمَامِ فِي الْأَزْدِيَادِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**، وَالْفَرْحُ بِفَضْلِهِ، وَالتَّذَكُّيرُ بِالْخَيْرَاتِ؛ لِلْمَحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَالْأَزْدِيَادِ مِنْهَا، وَالْأَسْتِفَادَةَ

=

مرفوعاً: « إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْآبَاءِ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ، أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ بَنُو آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ، لَيَدْعَنَّ رَجُلًا فَخَّرَهُمْ بِأَقْوَامٍ إِنَّمَا هُمْ فَحْمٌ مِنْ فَحْمِ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتْنَ ». والأحساب جمع حسب وهو ما يعدُّه الإنسانُ له ولآبائه من شجاعة وفصاحة ونحو ذلك).

أفاد الشيخ ابن باز **رَحِمَهُ اللَّهُ** في « شرح كتاب التوحيد » (ص ٢٨٣) أن المنهني إذا كان للترفع على الناس، والتعاضم بين الناس.

قال الشيخ صالح الفوزان في « الملخص في شرح كتاب التوحيد » (ص ٢٤٣) في معنى الفخر بالأحساب، أي: ( التعاضم على الناس بالآباء ومآثرهم).

**قلت:** فعلم مما سبق أن المحذور في الفخر بالأحساب: إذا كان القصد التعاضم على الناس، والترفع عليهم، واحتقارهم. **وانظر:** « مرعاة المفاتيح » للمباركفوري (٥ / ٤٦٥)، وعنه: « البحر المحيط الشجاع » للأثيوبي (١٨ / ٢٦٣).

مِنْهَا، وَالنَّفْعَ بِهَا، وَنَشْرَهَا .

قَالَ الطَّبَيْبِيُّ ( ت ٧٤٣ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ : ( الْمَفَاخِرَةُ نَوْعَانُ : مَذْمُومَةٌ وَمَحْمُودَةٌ ، فَالْمَذْمُومُ مِنْهَا مَا كَانَ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ مِنَ الْفَخْرِ بِالْآبَاءِ وَالْأَنْسَابِ ؛ لِلسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ .  
وَالْمَحْمُودُ مِنْهَا مَا ضَمَّ مَعَ النَّسَبِ الْحَسَبُ فِي الدِّينِ ، لَا رِيَاءً ، بَلْ إِظْهَارًا لِانْعَمِهِ تَعَالَى عَلَيْهِ ) . (١)

عَلَى أَنَّ الْفَخْرَ لَيْسَ مَدْحًا فِي كُلِّ صُورِهِ ، نَعَمْ ذَكَرَ ابْنُ رُشَيْقٍ ( ت ٤٦٠ هـ تَقْرِيْبًا ) أَنَّ الْفَخْرَ هُوَ الْمَدِيحُ نَفْسُهُ ، لَكِنْ ثَمَّةَ مَنْ خَالَفَ كَالرَّافِعِيِّ وَذَكَرَ أَنَّ حَقِيقَةَ الْفَخْرِ ( لَيْسَتْ مَدْحًا كَمَا قِيلَ ، وَلَكِنَّهَا تَارِيخٌ ، وَسَوَاءٌ فِي مَعْنَى التَّارِيخِ فَضِيلَةُ الْفَرْدِ وَفَضِيلَةُ الْجَمَاعَةِ ....  
وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ نَرَى الْفَخْرَ فِطْرَةً فِي الْعَرَبِ ، فَلَا يَكَادُ السَّيِّدُ مِنْهُمْ يَأْتِي عَمَلًا إِلَّا تَنَاوَلَهُ شَاعِرٌ قَبِيلَتِهِ وَفَخَرَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ لِسَانُ الْقَبِيلَةِ وَمُورِخُ

(١) « شرح المشكاة » ( ١٠ / ٣١٤٥ ) ، وانظر : « المنهاج في شعب الإيمان » للحليمي ( ٣ / ١١ ) ، و « مسبوک الذهب » لمرعي الكرعي ( ص ٥١ - ٥٢ ) .

أَحْسَابِهَا، وَإِذَا فَخَرَ أَحَدُهُمْ بِفَضِيلَةٍ فِي نَفْسِهِ كَالشَّجَاعَةِ أَوْ الْكِرَمِ أَوْ  
غَيْرِهِمَا، فَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي مَعْرِضِ التَّذْكِيرِ بِهَذِهِ الْفَضِيلَةِ، وَاسْتِشْهَادِ  
التَّارِيخِ الْحَقِّيِّ عَلَيْهَا، أَوْ يَكُونُ تَوْطِينًا لِنَفْسِهِ وَتَحْمِيْسًا لَهَا بِمَا يُهَيِّجُ مِنْ  
كِبَرِيَّائِهَا، كَمَا يُغْنِي الشُّجَاعُ فِي الْحَرْبِ، وَكَمَا يُنْبِئُهُ عَنِ نَفْسِهِ عِنْدَ الضَّرْبَةِ  
الْقَاضِيَةِ وَالطَّعْنَةِ النَّافِذَةِ؛ وَهَذَا هُوَ بَابُ الْحَمَاسَةِ (١).

وَالصَّوَابُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْفَخْرَ لَا يَأْخُذُ حُكْمًا وَاحِدًا مَدِيحًا أَوْ  
غَيْرَهُ، وَإِنَّمَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ حَسَبَ بَاعِثِهِ، وَسِيَاقِهِ، وَالْقَرَائِنِ الْمُحْتَقَّةِ بِالْقَائِلِ  
وَالْمَقُولِ وَالْحَالِ؛ فَمِنْهُ: مَا هُوَ مَدْحٌ مَحْمُودٌ، وَمِنْهُ مَا هُوَ مَدْحٌ مَذْمُومٌ،  
وَمِنْهُ مَا هُوَ عَرْضٌ تَارِيخِيٌّ مُجَرَّدٌ لَا يُقْصَدُ فِيهِ الْمَدِيحُ، وَرُبَّمَا يَأْتِي الْفَخْرُ  
وَيُقْصَدُ بِهِ أَوَّلَ مَا يُقْصَدُ الْهَجَاءُ، كَمَنْ يُعَدِّدُ مَفَاخِرَ جَمَاعَةٍ فِي مَعْرِضِ  
الْحَدِيثِ عَنِ جَمَاعَةٍ أُخْرَى...

وَالْحَدِيثُ هُنَا عَنِ مَآثِرِ الْحَمَادِيِّ، وَتَنَاجِهِمُ الْعِلْمِيَّ، جَاءَ لِلدَّلَالَةِ  
وَالْإِرْشَادِ، وَنَشْرِ الْعِلْمِ، وَتَذْكِيرِ الْخَلْفِ مِنَ الْأُسْرَةِ بِفِعْلِ السَّلْفِ مِنْهَا،

(١) «العمدة» (٢ / ٨٢٤)، «تاريخ آداب العرب» (٣ / ٦٩).

وَعَرَضٍ لِلتَّارِيخِ؛ خَاصَّةً أَنَّ ثَمَّةَ كِتَابًا يُؤَلَّفُ عَنْهَا - كَمَا سَبَقَ - .  
 وَغَالِبُ هَذِهِ الْمَآثِرِ فِي هَذَا التَّنَاجِ إِنَّمَا هِيَ لِلْمُعَاصِرِينَ، تُذَكِّرُ  
 فَتُشَكِّرُ - بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَشُكْرِهِ - ، وَلِتُظْهَرَ اتِّصَالَ الْخَيْرِ مِنَ الْأَسْلَافِ  
 الصَّالِحِينَ، وَالْفَضْلُ أَوْلَى وَأَخْرَأَ وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنَ اللَّهِ الْكَرِيمِ الْوَهَّابِ،  
 فَرَحْمَةُ اللَّهِ وَمَغْفِرَتُهُ وَعَافِيَتُهُ عَلَى الْجَدِّ: **الْحَمِيدِيِّ بْنِ حَمَدٍ**  
**(ت ١٠٩٥ هـ تقريباً) وَعَقِبِهِ أَجْمَعِينَ.**

**ذَكَرَ الْحَسَنُ الْيُوسُفِيُّ (ت ١١٠٢ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ النَّاسَ فِي الْفَخْرِ**  
**بِالْحَسَبِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ، مُلَخَّصُهَا:**

١. رَجُلٌ كَانَ أَصِيلًا ثُمَّ قَامَ هُوَ أَيْضًا يُشِيدُ بُنْيَانَهُ، وَيَحُوطُ بُسْتَانَهُ،  
 كَالَّذِي قَبْلَهُ، فَهَذَا أَكْرَمُ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ بِكُلِّ مَفْخَرَةٍ.
٢. وَرَجُلٌ لَا أَصْلَ لَهُ يَتَمَيَّيْ إِلَى، وَلَا حَسَبَ يُعْرِجُ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ  
 انْتَهَضَ فِي افْتِنَاءِ الْمَآثِرِ، وَافْتِنَاصِ الْمَفَاخِرِ، حَتَّى اشْتَهَرَ بِمَحَاسِنِ  
 الْخِلَالِ، وَصَارَ فِي عِدَادِ أَهْلِ الْكَمَالِ، وَأَنْشَدَ لِسَانُ حَالِهِ فَقَالَ:  
 وَبِنَفْسِي شَرَفْتُ لَا جُدُودِي (١)

(١) للمتنبى، وصدرة: لا بقومي شرفت بل شرفوا بي \*

فَهَذَا أَحْرَى أَنْ يَشْرُفَ بِوَصْفِهِ وَحَالِهِ، وَأَنْ يَشْرُفَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ، وَأَنْ  
يَكُونَ هُوَ أَسَاسُ بَيْتِهِ، وَعِرْقُ شَجَرَتِهِ.

٣. وَرَجُلٌ لَهُ أَصْلٌ، وَقَدِيمٌ شَرَفٍ، ثُمَّ لَمْ يَبْنِهِ، وَلَمْ يُجَدِّدْهُ، وَهُوَ :  
إِمَّا أَنْ تَخْفَى عَوَامِلُهُ فَلَمْ يُبَيَّنْ وَلَمْ يُهْدَمْ، مَعَ أَنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِي  
زِيَادَةٍ فَهُوَ فِي نُقْصَانٍ، وَالْمُرَادُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى عِمَارِ النَّاسِ فَلَا يُجَدِّدُ الْمَآثِرَ،  
وَلَا يَخْرُجُ إِلَى الْمَعَايِبِ، فَهَذَا لَا فَضِيلَةَ لَهُ إِلَّا مُجَرَّدُ النَّسَبِ وَالْفَخْرِ  
الْعِظَامِيِّ كَمَا مَرَّ.

وَإِمَّا أَنْ يَهْدِمَهُ بِمَلَابَسَةٍ ضِدِّ مَا كَانَ أَوَّلًا، فَهَذَا بِمَنْزِلَةِ مَنْ هَدَمَ الدَّارَ  
ثُمَّ حَفَرَ البُقْعَةَ أَيْضًا فَأَفْسَدَهَا؛ فَهَذَا مَذْمُومٌ بِمَا جَنَى عَلَى نَفْسِهِ وَبِمَا جَنَى  
عَلَى حَسَبِهِ وَنَسَبِهِ... (١).

هَذَا، وَقَدْ رَدَّ الرَّاغِبُ الْأَضْبَهَانِيُّ (ت ٥٠٢هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ لَا  
يَرَى الْأَعْتِدَادَ بِشَرَفِ الْأَبَاءِ، وَذَكَرَ أَنَّ « كَرَمَ الْأَعْمَامِ وَالْأَخْوَالِ مَخِيلَةٌ  
لِكَرَمِ الْمَرْءِ وَمِطْنَةٌ لَهُ، فَالْفَرْعُ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَفْسُدُ أَحْيَانًا، فَمَعْلُومٌ أَنَّ أَصْلَهُ

(١) « المحاضرات في اللغة والأدب » ( ١ / ٦٧ - ٧٦ ) مختصراً.

يُورِثُهُ الْفَضِيلَةَ وَالرِّذِيلَةَ، فَإِنَّهُ لَا يَكُونُ مِنَ النَّخْلِ الْحَنْظَلِ، وَلَا مِنَ الْحَنْظَلِ  
النَّخْلِ، وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا \* تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ  
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيئَةَ إِلَّا وَشِجْهُ \* وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ (١)  
وَقِيلَ:

إِنَّ السَّرِيَّ إِذَا سَرَى فَبِنَفْسِهِ \* وَابْنِ السَّرِيِّ إِذَا سَرَى أَسْرَاهُمَا  
وَيُبَيِّنُ ذَلِكَ: أَنَّ الْأَخْلَاقَ نَتَائِجُ الْأَمْرِجَةِ، وَمِزَاجُ الْأَبِّ كَثِيرًا مَا  
يَتَأَدَّى إِلَى الْإِبْنِ، كَالْأَلْوَانِ وَالْخَلْقِ وَالصُّوَرِ....

ثُمَّ ذَكَرَ الْأَضْبَهَانِيَّ أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَسْعَى لِإِقْتِبَاسِ الْعُلَى، وَأَنْ  
لَا يَقْتَصِرَ عَلَى مَآثِرِ الْأَبَاءِ، وَأَنَّ الْمَآثِرَ الْمَمُورُوتَةَ قَلِيلَةٌ الْغِنَاءِ، سَرِيعَةٌ الْفَنَاءِ،  
مَا لَمْ تُضَامَهَا فَضِيلَةُ النَّفْسِ (٢)، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يُحْمَدُ لِكَيْ يُوجَدَ الْفَرْعُ

(١) البيتان لزهير بن أبي سلمى، انظر «ديوانه» (ص ٨٣).

(٢) قال الماوردي (ت ٤٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «أدب الدنيا والدين» (ص ٥٠٥) ضمن  
كلام جميل عن شرف النفس: (... فأما شرف النفس إذا تجرد عن علو الهمة، فإن  
الفضل به عاطل، والقدَر به خامل، وهو كالقوة في الجلد الكسيل، أو الجبان الفشيل،  
تضيع قوته بكسله، وجلده بفشله...).

مِثْلَهُ؛ وَمَتَى أَخْلَفَ الْفَرْعُ وَتَخَلَّفَ؛ فَإِنَّهُ يُخْبِرُ بِأَحَدِ شَيْئَيْنِ: إِمَّا بِتَكْذِيبِ مَنْ يَدَّعِي الشَّرْفَ لِعُنْصُرِهِ، وَإِمَّا بِتَكْذِيبِهِ فِي انْتِسَابِهِ إِلَى ذَلِكَ الْعُنْصُرِ، وَمَا فِيهِمَا حِطٌّ لِمُخْتَارٍ .

وَالْمَحْمُودُ أَنْ يَكُونَ الْأَصْلُ فِي الْفَضَائِلِ رَاسِخًا، وَالْفَرْعُ بِهِ شَامِخًا، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

زَانُوا قَدِيمَهُمْ بِحُسْنِ حَدِيثِهِمْ \* وَكَرِيمَ أَخْلَاقٍ بِحُسْنِ خِصَالِ

وَمَنْ لَمْ يَجْتَمِعْ لَهُ الْأَمْرَانُ؛ فَلَأَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ شَرِيفَ النَّفْسِ دَنِئِ الْأَصْلِ، أَوْلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ دَنِئِ النَّفْسِ شَرِيفَ الْأَصْلِ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا الْغُصْنُ لَمْ يُثْمِرْ وَإِنْ كَانَ شُعْبَةً \*

مِنَ الْمُثْمَرَاتِ اعْتَدَهُ النَّاسُ فِي الْحَطَبِ  
فَمَا الْحَسْبُ الْمَوْرُوثُ لَا دَرَّ دَرُّهُ \* بِمُحْتَسَبٍ إِلَّا بِأَخْرَ مُكْتَسَبٍ

وَمَنْ كَانَ عُنْصُرُهُ فِي الْحَقِيقَةِ سَنِئًا وَفِي نَفْسِهِ دَنِئًا؛ فَذَلِكَ أُتِيَ إِمَّا مِنْ إِهْمَالِهِ نَفْسَهُ وَسَوْمِهَا، وَإِمَّا لِتَعَوُّدِهِ عَادَاتٍ قَبِيحَةً، وَصُحْبَةِ أَشْرَارٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَوَارِضِ الْمُفْسِدَةِ لِلْعُنْصُرِ الْكَرِيمَةِ فَلَيْسَ سَبَبُ الرَّذِيلَةِ



شَيْئًا وَاحِدًا). (١)

الْحَسْبُ الَّذِي يُحْمَدُ بِهِ الْإِنْسَانُ: مَا تَحَلَّى بِهِ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ فِي نَفْسِهِ، لَا مَا يُعَدُّهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنْهُ. (٢)، «مَنْ قَعَدَ بِهِ أَدْبُهُ، لَمْ يَرْفَعْهُ حَسْبُهُ» (٣)، و«مَنْ قَصَرَ بِهِ نَسْبُهُ، نَهَضَ بِهِ أَدْبُهُ» (٤)، وَمَنْ فَاتَهُ حَسْبُ نَفْسِهِ، لَمْ يَنْفَعْهُ حَسْبُ أَبِيهِ. (٥) و«شَرَفُ الْأَعْرَاقِ يَحْتَاجُ إِلَى

(١) «الذريعة إلى مكارم الشريعة» للراغب الأصبهاني (ص ١١٢-١١٣)، و«فيض القدير» للمناوي (٤ / ١١١).

(٢) «الميسر في شرح المصابيح» للتوربشتي (٢ / ٤٠٤). قُلْتُ: هَذَا الَّذِي يُحْمَدُ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ: حَسْبُ نَفْسِهِ، أَمَّا الْاِعْتِدَادُ فِيهِ أَوْلًا وَأَصْلًا، وَيَحْسَبُ آبَائِهِ أَيْضًا - كَمَا سَبَقَ - .

(٣) روي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما في «الأمالي» للزجاجي (ص ١٣٦).

(٤) قال الزجاجي رَضِيَ اللَّهُ فِي «أماليه» - ط. الغرب - (٢ / ٢٨٧): أَخْبَرْنَا ابْنَ دُرَيْدٍ، قَالَ: أَخْبَرْنَا أَبُو حَاتِمٍ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِي كَثِيرًا مَا يَقُولُ: فَذَكَرَهُ.

(٥) قاله قِسُّ بْنُ سَاعِدَةَ. «العقد» لابن عبدربه (٢ / ٢٩٠)، وَنُسِبَ إِلَى مَيْمُونِ بْنِ مَيْمُونٍ كَمَا فِي «عيون الأخبار» (١ / ٢٩٦).

وانظر للفائدة: «نقد الشعر» لقدماء (ص ٧٢)، «العمدة» لابن رشيق (٢ / ٨٢٦).

شَرَفِ الْأَخْلَاقِ، وَلَا حَمْدَ لِمَنْ شَرَفَ نَسَبَهُ وَسَخَفَ أَدَبَهُ» (١).

رُوي عَنْ هَاشِمِ جَدِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلُهُ: «... عَلَيْكُمْ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فَإِنَّهَا رِفْعَةٌ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأَخْلَاقَ الدَّنِيئَةَ فَإِنَّهَا تَضَعُ الشَّرْفَ وَتَهْدِمُ الْمَجْدَ» (٢).

وَإِذَا الْفَتَى هَبَطَتْ بِهِ أَعَالُهُ \* لَمْ تُعَلِّهِ الْآبَاءُ وَالْأَجْدَادُ (٣)

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لَسْنَا وَإِنْ كُرُمَتْ أَوَائِلُنَا \* يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَّكِلُ  
بَنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا \* تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا (٤)

(١) «غرر الخصائص الواضحة» (١ / ١٩).

(٢) «الأمالي» للزجاجي — ط. الغرب — (٣ / ١٣٥٩)، «أعلام النبوة» للماوردي (ص ١٩٣).

(٣) «الدر الفريد وبيت القصيد» لابن أيدمر المستعصي (ت ٧١٠هـ) (٦ / ٤٤٢).

(٤) «الحيوان» (٧ / ٩٥)، «الكامل» للمبرد (١ / ٢١١)، «العقد الفريد» (٢ / ٢٩٠)، «التذكرة الحمدونية» (٢ / ٦٧).

قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَبْنِ افْتِخَارًا لِنَفْسِهِ \* تَضَائِقَ عَنْهُ مَا ابْتَنَتْهُ جُدُودُهُ  
وَلَا خَيْرَ فِي مَنْ لَا يَكُونُ طَرِيفُهُ \* دَلِيلًا عَلَى مَا شَادَ قَدَمًا تَلِيدُهُ (١)

وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ (ت ٥٩٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: الْحَسْبُ إِذَا انْفَرَدَ لَمْ

يُعْتَبَرُ، وَإِنَّمَا يُعْتَبَرُ إِذَا انْضَمَّ إِلَيْهِ الْإِسْلَامُ وَالتَّقْوَى. (٢)

قَالَ أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِكٍ: (أَرْبَعَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى أَرْبَعَةٍ: الْحَسْبُ إِلَى

الْأَدَبِ، وَالسُّرُورُ إِلَى الْأَمْنِ، وَالْقَرَابَةُ إِلَى الْمَوَدَّةِ، وَالْعَقْلُ إِلَى

التَّجْرِبَةِ). (٣)

قَالَ ابْنُ حَزْمِ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت ٤٥٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي حَدِيثٍ عَنْ

الْأَفْتِخَارِ بِالْأَبَاءِ دُونَ أَنْ يَضُمَّ الْإِنْسَانُ إِلَى شَرَفِهِمْ عَمَلًا مُشْرَفًا: (فَإِنْ

(١) «محاضرات الأدباء» للراغب (١ / ٧٠٥).

(٢) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٤ / ١٥٦)، وانظر: «الدين الخالص»

لصديق خان (٤ / ٤٣٣).

(٣) «التمثيل والمحاضرة» (ص ٤٧١)، «بهجة المجالس» (٣ / ١٣٢)، «ربيع الأبرار»

(٣ / ٤٥٧)، «التذكرة الحمدونية» (٣ / ٢٧١).

أَعْجِبْتَ بَوْلَادَةِ الْفَضْلَاءِ إِيَّاكَ، فَمَا أَخْلَى يَدَكَ مِنْ فَضْلِهِمْ إِنْ لَمْ تَكُنْ أَنْتَ  
 فَاضِلًا! وَمَا أَقَلَّ غِنَاؤُهُمْ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِنْ لَمْ تَكُنْ مُحْسِنًا!  
 وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ أَوْلَادُ آدَمَ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَهُ  
 جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ؛ وَلَكِنْ مَا أَقَلَّ نَفْعُهُ لَهُمْ وَفِيهِمْ كُلُّ مَعِيْبٍ، وَكُلُّ  
 فَاسِقٍ، وَكُلُّ كَافِرٍ.

وَإِذَا فَكَّرَ الْعَاقِلُ فِي أَنْ فَضَلَ آبَائِهِ لَا يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ - تَعَالَى - وَلَا  
 يُكْسِبُهُ وَجَاهَةً لَمْ يَحْزُهَا هُوَ بِسَعْدِهِ أَوْ بِفَضْلِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلَا مَالًا؛ فَأَيُّ  
 مَعْنَى لِلْإِعْجَابِ بِمَا لَا مَنَفَعَةَ فِيهِ؟!  
 وَهَلِ الْمُعْجَبُ بِذَلِكَ إِلَّا كَالْمُعْجَبِ بِمَالِ جَارِهِ، وَبِجَاهِ غَيْرِهِ،  
 وَبِفِرْسٍ لِعَيْرِهِ سَبَقَ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ لِحَامُهُ..... (إلخ).<sup>(١)</sup>

قَالَ الشَّيْخُ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْجَزِيرِيُّ (ت ١٣٦٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ فِي  
 حَدِيثِهِ عَنِ التَّكْبُرِ عَلَى النَّاسِ لِأَجْلِ النَّسَبِ: (هَذِهِ الصِّفَةُ تَكُونُ كَالْعَدَمِ،

(١) «الأخلاق والسَّير» تحقيق: إيفا (ص ١٦٤ - ١٦٥).

وانظر: «الدين الخالص» لصِدِّيقِ خَانَ الْقُنُوجِيِّ (٤ / ٤٢٨ - ٤٤٥) ففيه مبحث

طويل عن الفخر بالنسب، وهو جيِّدٌ في الجملة، رغم تضمينه بعض الأقوال المنكرة.

إِذَا لَمْ يَتَجَمَّلْ صَاحِبُهَا بِالْفَضِيلَةِ، وَأَنْ الْكِبَرُ هُوَ أَشَدُّ الرَّذَائِلِ الَّتِي تُذْهِبُ بِمَحَاسِنِ تِلْكَ الصِّفَاتِ وَتَقْضِي عَلَيْهَا.

فَمَنْ اغْتَرَّ بِنَسَبِهِ وَتَكَبَّرَ عَلَى النَّاسِ؛ فَقَدْ هَدَمَ ذَلِكَ النَّسَبَ مِنْ أَسَاسِهِ، وَقَضَى عَلَى فَضْلِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ شَرَّ قَضَاءٍ؛ لِأَنَّ الْحَمْدَ وَتَكْرِيمَ النَّاسِ لَا يُكْسَبَانِ بِالْأَنْسَابِ وَحَدَّهَا، بَلْ بِالْتَّمَسُكِ بِالْفَضِيلَةِ وَاجْتِنَابِ الرَّذِيلَةِ، وَكَذَلِكَ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ مَنزَلَةٍ فَإِنَّهُ لَا يُكْسَبُ بِالْأَنْسَابِ، لِهَذَا قَالَ **اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾** (سورة الحجرات، آية ١٣)،

نَعَمْ إِنَّ لِلْأَنْسَابِ فَضْلًا فِي تَكْوِينِ خُلُقِ الْإِنْسَانِ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَصْلٍ طَيِّبٍ وَعُنْصُرٍ كَرِيمٍ؛ كَانَتْ أَخْلَاقُهُ حَسَنَةً وَصِفَاتُهُ كَرِيمَةً؛ وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تُحْتَرَمُ الْأَنْسَابُ، وَيَكُونُ لِصَاحِبِهَا فَضْلٌ عَلَى غَيْرِهِ... (١).

**قُلْتُ:** فَاحْتِرَامُهُ لَيْسَ لِأَجْلِ النَّسَبِ وَحَدَّهُ، بَلْ لِمَا أُنْمَرَهُ مِنْ خَيْرٍ، فَالْأَنْسَابُ مَظَنَّةُ الْخَيْرِ، وَلَيْسَتْ خَيْرًا بِنَاتِهَا، **قَالَ الْيُوسُفِيُّ (ت ١١٠٢ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:** (كَرُمُ النَّسَبِ فَضِيلَةٌ... وَوَصَفُ الْإِنْسَانِ وَسَعْيُهُ هُوَ الشَّانُ،

(١) «الأخلاق الدينية والحكم الشرعية» (ص ١٥٤-١٥٥).

وَالنَّسَبُ زِيَادَةٌ، فَالْغَاءُ النَّسَبِ رَأْسًا جَوْرًا؛ وَالْأَقْصَارُ عَلَيْهِ عَجْزٌ ... فَعَلَيْهِ  
مَعَ النَّسَبِ أَنْ يُحْصَلَ الْحَمْدَ وَيَبْتَنِي الْمَجْدَ).<sup>(١)</sup>

**أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ، أَنْتُمْ حَمَادِيٌّ، لَكُمْ صِيْتٌ فِي النَّاسِ<sup>(٢)</sup>، وَأَرَى  
الذِّكْرَ الْحَسَنَ فِيكُمْ هَالَةً لَامِعَةً، وَالشَّرْفَ فِيكُمْ مُتْرَبِّعًا وَسَطًا جَامِعَةً**

(١) « المحاضرات في اللغة والأدب » للحسن اليوسي (١ / ٦٤-٦٥) بتصرف.

(٢) الصَّيْتُ: هو الذِّكْرُ الْحَسَنُ، يُقَالُ: ذَهَبَ صَيْتُهُ إِذَا انْتَشَرَ. انظر: « مقاييس اللغة »

(٣ / ٣١٩)، « القاموس المحيط » (ص ١٥٥). قال الغزي (ت ١٠٦١ هـ) رَحِمَهُ اللهُ

في « حُسن التنبه » (٤ / ٣٩١): (إِنَّمَا سُمِّيَ الصَّيْتُ صَيْتًا؛ لِأَنَّ الْأَصْوَاتَ تَرَفَعُ بِهِ فِي  
الناس...).

**فَائِدَةٌ:** حِينَمَا تُوصَفُ الْجُدُودُ - أَيُّ جُدُودٍ - بِالصَّيْتِ، وَالشُّهْرَةُ الْحَسَنَةُ، فَهِيَ اشْتِهَارٌ  
نَسَبِيٌّ، وَلَيْسَ مَعْنَاهُ اشْتِهَارُهُ عِنْدَ عَامَّةِ النَّاسِ فِي الْبِلَادِ، بَلِ الْمَقْصُودُ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ:  
مَعْرِفَةُ الْعَشِيرَةِ وَالْفَخْدِ وَأَهْلِ الْبَلَدَةِ الَّتِي كَانُوا فِيهَا، وَمَا أَبْقَوْهُ مِنْ أَثَرٍ وَمَعَالِمٍ مُنْبِرَةٍ،  
قَالَ الْحَسَنُ الْيُوسِيُّ (ت ١١٠٢ هـ) رَحِمَهُ اللهُ فِي « الْمُحَاضِرَاتِ » (١ / ٦٨):

(... وَلَا شَكَّ أَنَّ شَرَفَ الْإِنْسَانِ وَاشْتِهَارَهُ بِاعْتِبَارِ عَشِيرَتِهِ أَوْ قَوْمِهِ إِنَّمَا يُعْرَفُ فِيهِمْ وَلَا  
يُضَيَّرُهُ إِلَّا يَعْرِفُهُ غَيْرُهُمْ؛ لِأَنَّ سَادَاتِ الْعَرَبِ لَا يَعْرِفُهُمُ الْعَجَمُ، وَلَا الْعَكْسُ، وَكَذَا  
فِيمَا بَيْنَ الْعَرَبِ غَالِبًا...).

- **وَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالْفَضْلُ وَالْمِنَّةُ** - ، فَارْعَوْا مَكَانَهُ، وَتَمِّمُوا مَرَامَهُ، وَكُونُوا عَلَى الْعَهْدِ وَالْوَفَاءِ بِتَعَاهِدِ وَحَمْلِ الْمَائِرِ الْمُبَارَكَةِ إِلَى الْأَبْنَاءِ، فَأَعْظَمَ مَا تُورَثُونَ أَحْفَادَكُمْ: دِينًا قَوِيمًا، وَصَلَاحًا وَمُرُوءَةً، وَعِلْمًا وَأَدَبًا مَتِينًا، هَذِهِ هِيَ الْمَائِرِ الْمَجِيدَةِ، وَهَذَا الذِّكْرُ الْحَسَنُ، فَادْعُوا اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ**

﴿ **وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ** ﴾ (سورة الشعراء، آية ٨٤).

قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ **هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لِحُسْنِ**

**مَعَابٍ** ﴾ (سورة ص، آية ٤٩) أَيْ: لَهُمْ مَعَ الذِّكْرِ الْحَسَنِ فِي الدُّنْيَا، حُسْنُ مَرْجِعٍ فِي الْآخِرَةِ. (١)

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا أَحْمَدُ الْأَشْيَاءِ؟ قَالَ: أَنْ يَبْقَى لِلْإِنْسَانِ أُحْدُوْتَةٌ حَسَنَةٌ. (٢)

قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ (ت ٦٧ هـ) **رَحِمَهُ اللَّهُ**: (مَا ادَّخَرَ الْأَبَاءُ لِلْأَبْنَاءِ، وَلَا أَبَقَتِ الْأَمْوَاتُ لِلْأَحْيَاءِ، أَفْضَلَ مِنَ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ ذَوِي الْأَحْسَابِ

(١) قاله النحاس في «معاني القرآن» (٦ / ١٢٦).

(٢) «شرح مقامات الحريري» للشُّرَيْشِي (٣ / ١١٣).

وَالْأَدَابِ). (١)

وَمِنْ الْوَصَايَا: لَا تُؤَثِّرُوا الْمَالَ عَلَى الذِّكْرِ الْحَسَنِ؛ فَإِنَّ الْمَالَ فَإِنْ،

وَالذِّكْرَ بَاقٍ. (٢)

قَالَ أَبُو يَعْلَى ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ الْعَبَّاسِيُّ الْبَغْدَادِيُّ:

الْمَالُ فَإِنْ وَالذِّكْرُ بَاقٍ \* وَالْوَفْرُ فَرْعٌ وَالْعِرْضُ أَصْلُ  
فَاجْعَلْهُ دُونَ الْعِيَالِ سَتْرًا \* فَالصَّوْنُ فِي أَنْ يَكُونَ بَذْلًا (٣)

قَالَ الْمَعْرِيُّ:

وَلَنْ يُحَوَّى الشَّاءُ بِغَيْرِ جُودٍ \* وَهَلْ تُجْنَى مِنَ الْيَبَسِ الشَّمَارُ؟  
جَمَالُ الْمَجْدِ أَنْ يُشْنَى عَلَيْهِ \* وَلَوْلَا الشَّمْسُ مَا حَسُنَ النَّهَارُ (٤)

(١) « غرر الخصائص الواضحة » (١ / ٥٧٠).

(٢) « الثبات عند الممات » لابن الجوزي (ص ٩٥).

(٣) « خريدة القصر » للعماد الأصبهاني - تحقيق: بهجة الأثري - (العراق ٢ / ٨٨).

(٤) « سقط الزند » (ص ١٣٣).



قَالَ الْحَسَنُ الْيُوسُفِيُّ ( ت ١١٠٢ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ : ( اعْلَمَنَّ أَنَّ مَا أَشْرَنَا  
إِلَيْهِ مِنَ الْمَزَايَا الَّتِي يَتَشَرَّفُ بِهَا الْإِنْسَانُ حَتَّى يَشْرَفَ بِشَرَفِهِ مَنْ انْتَسَبَ إِلَيْهِ  
كَثِيرَةً، مِنْهَا:

**دِينِيَّةٌ:** كَالنُّبُوَّةِ وَهِيَ أَجْلُهَا، وَكَالْعِلْمِ، وَالصَّلَاحِ، وَمَكَارِمِ  
الْأَخْلَاقِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

**وَدُنْيَوِيَّةٌ:** كَالْمُلْكِ، وَهُوَ أَعْظَمُهَا، وَكَالنَّجْدَةِ، وَالكَرَمِ، وَالْقُوَّةِ، وَكَثْرَةِ  
الْعَدَدِ، وَكَثْرَةِ الْمَالِ، وَالْجَمَالِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

**وَكَثِيرٌ مِنْهَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ دِينِيًّا وَدُنْيَوِيًّا:** كَالْقُوَّةِ، وَالْعِزِّ، وَالكَرَمِ،  
وَسَائِرِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

**وَبَعْضُهَا دِينِيٌّ وَدُنْيَوِيٌّ مَعًا:** كَالنُّبُوَّةِ، وَالْخِلَافَةِ، وَالْعِلْمِ.  
وَبَعْضُ ذَلِكَ حَسِّيٌّ، وَبَعْضُهُ مَعْنَوِيٌّ، وَبَعْضُهُ وَجُودِيٌّ، وَبَعْضُهُ  
عَدَمِيٌّ، وَشَرْحُ ذَلِكَ يَطُولُ فَلْنَقْتَصِرَ الْقَوْلَ مَعَ تَمَثُّلٍ وَتَمَهِيدٍ: أَمَّا التَّمَثُّلُ  
فَهُوَ أَنَّهُ لَوْ اُعْتَبِرَ رَجُلَانِ مُتَسَاوِيَانِ فِي الْخُلُقِ وَالنَّسَبِ وَسَائِرِ  
الْأَحْوَالِ فَلَا مَزِيَّةَ لِأَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرَ، وَفِي مِثْلِهِمَا قَالَ عَلْقَمَةَ بْنُ عَلَاثَةَ  
لِلْمُتَنَافِرَيْنِ: صِرْتُمَا كَرُكْبَتِي الْبَعِيرِ الْأَدَمِ.

وَلَوْ اخْتَصَّ أَحَدُهُمَا بِالْفِقْهِ فَهَذِهِ مَزِيَّةٌ وَجُودِيَّةٌ يَفْضَلُ بِهَا الْآخَرَ، وَلَوْ  
اخْتَصَّ أَحَدُهُمَا بِكَوْنِهِ ظُلُومًا فَهَذِهِ مَزِيَّةٌ مَذْمُومَةٌ عِنْدَ أَهْلِ الشَّرْعِ (١)، وَقَدْ  
سَلِمَ مِنْهَا الْآخَرُ، فَلَهُ الْفَضْلُ بِمَزِيَّةٍ هِيَ عَدَمِيَّةٌ، وَعِنْدَ الْجَاهِلِيَّةِ بَعْكَسِ  
هَذَا.... إلخ). (٢)

قَالَ الرَّاعِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ (ت ٥٠٢ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَحَبَّةُ الذِّكْرِ  
الْحَسَنِ أَشْرَفُ مَقَاصِدِ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا، وَهِيَ فِي جِبَلَةِ النَّاسِ (٣) وَمِنْ  
خَصَائِصِهِمْ (٤)، وَلَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْحَيَوَانِ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:  
..... \* حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ (٥)

(١) مذمومة في الشرع، وعند المسلمين.

(٢) « المحاضرات في اللغة والأدب » (١/ ٤٩ - ٥٠).

(٣) وانظر: « أدب الدنيا والدين » للماوردي (ص ٣٧٩).

(٤) قيل: محبة الذكر الجميل من جيلة الإنسان وخصائصه. « روض الأحيار المنتخب

من ربيع الأبرار » لابن الخطيب قاسم (ص ٢٣٥)، ولم أجده في « الربيع ».

(٥) البيت لابن نباتة السعدي، وأولُه: يَهْوِي الثَّنَاءَ مُبْرَزٌ وَمُقَصَّرٌ \*

انظر: « يتيمة الدهر » (٢/ ٤٦٦)، ولم أجده في « ديوان ابن نباتة » ط. التمدن

المصرية (١٣٢٣هـ).

وَلَوْلَا الْكَلْفُ بِهِ لَمَا ظَهَرَتِ الْعَدَالَةُ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ، وَمَنْ لَا يَخُوفُهُ  
الْهَجَاءُ وَلَا يَسْرُهُ الثَّنَاءُ؛ فَلَا يَرُدُّهُ عَنْ سُوءِ الْأَفْعَالِ إِلَّا نَارٌ أَوْ سَيْفٌ، وَقَدْ  
قِيلَ: الَّذِي يَنْفُرُ عَنِ الْقَبِيحِ وَيَحْتُ عَلَى الْجَمِيلِ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الْعَقْلُ، ثُمَّ  
الْحَيَاءُ، ثُمَّ الْمَدْحُ وَالْهَجَاءُ، ثُمَّ التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيْبُ.

وَقَدْ قِيلَ: مَنْ لَمْ يَرُدُّهُ الذَّمُّ عَنْ سَيِّئَةٍ، وَلَمْ يَسْتَدْعِهِ الْمَدْحُ إِلَى  
حَسَنَةٍ، فَهُوَ جَمَادٌ أَوْ بِهِمَةٌ؛ وَلَا جِلَّةَ تَنَازَعِ النَّاسِ الرِّيَاسَةَ وَالْمَنَازِلَ  
الرَّفِيعَةَ.

وَلَيْسَ الثَّنَاءُ فِي نَفْسِهِ بِمَحْمُودٍ وَلَا مَذْمُومٌ، وَإِنَّمَا يُحْمَدُ وَيُذَمُّ  
بِحَسَبِ الْمَقَاصِدِ، فَمَنْ قَضَاهُ طَلَبَ مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ الثَّنَاءَ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي  
يُسْتَحَبُّ، فَذَلِكَ مَحْمُودٌ، وَهُوَ طَرِيقَةُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**  
حَيْثُ قَالَ: **﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾** (سورة الشعراء، آية ٨٤). أَيُّ:  
اجْعَلْنِي بِحَيْثُ أَفْعَلُ مَا إِذَا مُدِخْتُ بِهِ يَكُونُ مَادِحِي صَادِقًا، وَمِنْ هَذَا  
الْوَجْهِ نُدِبَ الْإِنْسَانُ إِذَا مُدِحَ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ.

وَالْمَذْمُومُ مِنْهُ: أَنَّهُ يَمِيلُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَجَرِبَةٍ لِفِعْلٍ مَا يَقْتَضِيهِ، وَذَلِكَ  
مِنْ أَعْظَمِ الْأَفَاتِ لِمَنْ تَحَرَّاهُ؛ فَإِنَّهُ يَفْتَحُ بَابَ الْحَسَدِ، وَالْحَسَدُ يَفْتَحُ بَابَ

الْكَذِبِ، وَالْكَذِبُ رَأْسُ كُلِّ مَذْمُومٍ، وَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ طَلَبَ  
 الْمَحْمَدَةَ مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ حَسَنَةٍ تَقْتَضِيهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ  
 بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ  
 وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (سورة آل عمران، آية ١٨٨) . (١)

### هَذَا، وَمِنْ فَوَائِدِ الذِّكْرِ الْحَسَنِ :

١. أَنَّهُ دَلَالَةٌ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَإِنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ : مَحَبَّةَ الثَّنَاءِ  
 الْحَسَنِ ، وَحُسْنَ الصِّيتِ . (٢)
٢. الْفَرَحُ بِمَا يَسْمَعُهُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْمَحْمَدَةِ الصَّادِقَةِ .
٣. أَنَّ هَذَا الصِّيتَ عَلَامَةٌ خَيْرٍ وَقَبُولٍ ، فَالْنَّاسُ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي  
 أَرْضِهِ .

(١) « الذريعة الى مكارم الشريعة » (ص ١٩٦-١٩٧)، وقارن بـ « الأخلاق والسيرة » لابن

حزم - تحقيق: إيفا - (ص ١٨٨).

(٢) « حُسن التنبيه لما ورد في التشبيه » للغزي (٤ / ٣٩١).

٤. أَنَّ الْأَعْقَابَ تَتَوَارَثُهُ<sup>(١)</sup>، فَشَكَرَ لِلآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ حُسْنَ

الْمِيرَاثِ.

٥. مَعَ تَوَارَثِهِ، تَلْهَجُ الْأَلْسِنَةُ بِالِدُّعَاءِ لِلْأَجْدَادِ.

٦. الْأَقْتِدَاءُ بِهِمْ فِي الْخَيْرِ، فَالْنَفْسُ فِي الْأَقْتِدَاءِ بِمَنْ تَعْرِفُ وَتُشَاهِدُ

أَكْثَرُ تَهْدِيًّا بِمَنْ لَا تَعْرِفُ — كَمَا سَبَقَ — : « وَالنُّفُوسُ تُؤْخَذُ بِالْأَخْتِدَاءِ

وَالْمُحَاكَاةِ أَكْثَرَ مِمَّا تُؤْخَذُ بِالْجِبِلَّةِ وَالطَّبَعِ »<sup>(٢)</sup> وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ مُحَرِّكَاتِ

الْإِنْسَانِ لِفِعْلِ الْمَاثِرِ الطَّيِّبَةِ، فَبِتَذْكَرِهِ مَاثِرِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ يَقْدَحُ حَرَارَةَ

الْهَمَّةِ، وَيَرْفَعُ نَفْسَهُ إِلَى مَدَارِجِ الشَّرَفِ بِالْعَمَلِ الطَّيِّبِ، وَمُواصَلَةِ الْخَيْرَاتِ

الَّتِي تَحَلَّى بِهَا أَجْدَادُهُ<sup>(٣)</sup>.

٧. رَفَعُ مُسْتَوَى الْقَبُولِ وَالْإِعْجَابِ، وَالرَّغْبَةَ فِي الْقُرْبِ مُصَاهَرَةً،

وَمُجَاوَرَةً، وَمُعَامَلَةً.

(١) ذكره أرسطو، انظر: «محاضرات الأدباء» للراغب (١٩/٢).

(٢) اقتباس من «آثار البشير الإبراهيمي» (١/٢٨٥).

(٣) انظر في هذا المعنى: «الهوامل والشوامل» لمسكويه — ط. أحمد أمين، وأحمد صقر —

(ص ٢٥٥-٢٥٦) رقم (١٠٧).

إِذْنٌ لَا عَلَيْنَا - جَمِيعًا - أَنْ نَفْرَحَ بِمَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ مِنْ جَمِيلِ الْأَعْمَالِ  
وَالْأَخْلَاقِ، شَرِيظَةً أَنْ لَا نَغْتَرَّ بِذَلِكَ، وَنَكْسَلَ، وَنَتَحَدَّثَ فِيهِ عَلَى سَبِيلِ  
الْفَخْرِ وَالْخِيَلَاءِ وَالْأَسْتِعْلَاءِ.

وَلَا عَتَبَ أَنْ تَقُولُوا - بِلَا فَخْرٍ وَلَا عُجْبٍ - :

نَحْنُ الَّذِينَ عَدَتْ رَحَى أَحْسَابِهِمْ \* وَلَهَا عَلَى قُطْبِ الْفَخَارِ مَدَارُ  
قَوْمٍ لِعُصْنِ نَدَاهُمْ مِنْ رِفْدِهِمْ \* وَرَقٌّ وَمِنْ مَعْرُوفِهِمْ أَثْمَارُ  
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ \* رَوْضٌ خَلَّاقُهُ لَهَا أَزْهَارُ<sup>(١)</sup>

(١) الأبيات لأبي الحسن علي بن الحسين بن حيدرة العُقَيْلي الطالبي الهاشمي. كما في  
« ديوانه » تحقيق زكي المحاسني (ص ١٥٩)، وانظر: « الوافي بالوفيات » للصفدي  
(٢٩/٢١).

قال عنه الصفدي في « الوافي » (٢٥/٢١): (... ذكره ابن سعيد المغربي في كتاب  
« المغرب » وساق له قطعا كثيرة من شعره وأما أنا فما رأيت أحدا من شعراء  
الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَجَادِ الْإِسْتِعَارَةِ مِثْلَهُ وَلَا أَكْثَرَ مِنْ اسْتِعَارَاتِهِ اللَّائِقَةِ الصَّحِيحَةِ التَّخِيلِ  
وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى دِيوانِهِ وَأَكْثَرَهُ مَقَاطِيعَ....).

**أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ، أَنْتُمْ حَمَادِيٌّ** وَرِثْتُمْ « غَرَائِزَ = طَبَائِعَ = جِينَاتٍ »  
 طَيِّبَةً مِنْ عُرُوقِ أَجْدَادِكُمْ، وَالْعِرْقُ دَسَّاسٌ، وَوَرِثْتُمْ مِنْ آبَائِكُمْ مَزِيدًا<sup>(١)</sup>،  
 وَزِدْتُمْ عَلَيْهِمَا مَا تَعَلَّمْتُمُوهُ وَقَرَأْتُمُوهُ فِي مُنْزَلِ الْوَحْيَيْنِ، وَآثَارِ السَّلَفِ  
 الصَّالِحِينَ، فَلَا تُبْطَلُوا بَعْضَ أَحْسَابِكُمْ، بِالتَّقْصِيرِ فِي جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ  
 الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَحُسْنِ الْمَعَاشِرَةِ، وَجَمَالِ الْخُلُقِ، وَسَلَامَةِ الصَّدْرِ،  
 وَلَيْنِ الْجَانِبِ، وَكَرَمِ الْقَلْبِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ.

**وَاعْلَمُوا أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ - زَادَكُمْ اللَّهُ سُودَدًا -** أَنْ الشَّرَفَ مُلَازِمٌ  
 لِحُسْنِ الْخُلُقِ، قَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ (ت ٦٧هـ) **رَحِمَهُ اللَّهُ:** السُّودَدُ كَرَمُ  
 الْأَخْلَاقِ، وَحُسْنُ الْفِعَالِ.<sup>(٢)</sup>

(١) قال العلامة الغلابي (ت ١٣٦٤هـ) **رَحِمَهُ اللَّهُ:** ( وَفِي الْجُمْلَةِ، فَتَأْتِيهِ الْأُسْرَةُ = الْعَائِلَةُ  
 فِي طَبَائِعِ النَّاشِئِينَ وَعُقُولِهِمْ أَمْرٌ لَا يُنْكَرُ، بَلْ إِنَّ طَبَائِعَ الْأَبَاءِ رَبَّمَا تَنْتَقِلُ إِلَى بَنِيهِمْ  
 بِطَرِيقِ الْإِرْثِ، حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّ بَعْضَ فَلَاسِفَةِ الْأَمِيرِ كَانَ ( أَوْلِيْفِيهِ وَيَنْدِلُ هَلْمَسٌ ) سُئِلَ  
 عَنْ مَبْدَأِ تَرْبِيَةِ الطُّفْلِ؟ فَقَالَ: « تَبْتَدِئُ تَرْبِيَةَ الطُّفْلِ قَبْلَ أَنْ يُوَلَدَ بِمِئَةِ سَنَةٍ ». يُرِيدُ بِذَلِكَ:  
 أَنَّ التَّرْبِيَةَ تَرَاثُ يَرْتُهُ الْوَالِدُ عَنْ آبَائِهِ.... ». « أَرِيحُ الزَّهْرَ » (ص ٦٤).

(٢) « أنساب الأشراف » للبلاذري (١٢ / ٣٢١)، « الفاخر » للمفضل بن سلمة  
 (ص ٢٩٩).

وَيَقُولُ الضَّحَّاكُ بْنُ مُزَاحِمٍ (ت ١٠٥هـ) رَحِمَهُ اللهُ: السَّيِّدُ: الْحَسَنُ

الْخُلُقِ. (١)

وَيُرْوَى أَنَّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سُئِلَ: مَنْ أَسْوَدُ النَّاسِ؟ قَالَ: أَسْحَاهُمْ  
نَفْسًا حِينَ يُسْأَلُ، وَأَحْسَنُهُمْ فِي الْمَجَالِسِ خُلُقًا، وَأَحْلَمُهُمْ حِينَ  
يُسْتَجْهَلُ. (٢)

وَيُرْوَى عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَوْلُهُ: السُّوْدُذُ: التَّبَرُّعُ  
بِالْمَعْرُوفِ، وَالْإِعْطَاءُ قَبْلَ السُّؤَالِ. (٣)

قَالَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ (ت ١٤٢هـ) رَحِمَهُ اللهُ: ( لَا يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبَرِ فِي  
حُسْنِ الثَّنَاءِ، وَلَا الْخَبُّ فِي كَثْرَةِ الصَّدِيقِ، وَلَا السَّيِّئُ الْأَدَبِ فِي الشَّرَفِ،  
وَلَا الشَّحِيحُ فِي الْمَحْمَدَةِ، وَلَا الْحَرِيصُ فِي الْإِخْوَانِ... ) (٤) وَعَلَيْكُمْ

(١) «الزهد» للإمام أحمد، رقم (٤٦٢)، «مكارم الأخلاق» للخرائطي - ط. الفاروق -  
رقم (٣٤)، و (٦٦٣).

(٢) «مكارم الأخلاق» للخرائطي رقم (٣ / ١٨٤) رقم (٦٦٤)، ولا يصح عنه.

(٣) «المجالسة» للدينوري (٦ / ٢٨٤) رقم (٢٦٤٤).

(٤) «الأدب الصغير» (ص ٥٣).



بِالتَّوَّاضِعِ، فَـ « التَّوَّاضِعُ أَحَدُ مَصَائِدِ الشَّرَفِ »، وَقِيلَ: سُلِّمَ الشَّرَفِ. (١)  
وَكَانَ يُقَالُ: اسْمَانِ مُتَضَادَّانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ: التَّوَّاضِعُ وَالشَّرَفُ. (٢) فَحَدَارٍ  
حَدَارٍ حَدَارٍ مِنْ: الْكِبَرِ، وَالْكَذِبِ وَالسُّخْفِ فَهِيَ خِلَالٌ لَا يُمَكِّنُ مَعَهَا  
السُّؤْدُدُ. (٣)

قَالَ الضَّيَاءُ ابْنُ الْأَثِيرِ ( ت ٦٣٧ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ : ( مُجَارَاةُ اللَّئِيمِ تَسِمُ  
وَجْهَ الْحَسَبِ، وَتُلْحِقُ التَّبَعَ بِالْغَرَبِ، فَإِنَّ الْخُلُقَ السَّيِّئَ يَسْتَتْبِعُ الْحَسَنَ  
عَلَى أَثَرِهِ، وَكَدَّرَ الْمَاءَ لَا يُغْلَبُ بِصَفْوِهِ، وَصَفْوُهُ مَغْلُوبٌ بِكَدَرِهِ. ) (٤)

(١) نُسِبَ لِمَصْعَبِ بْنِ الزَّبِيرِ فِي « الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ » ( ٣ / ٣٠٨ )، وَغَالِبَ الْمَصَادِرِ نَسَبَتَهُ  
لِعُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ: « عَيُونَ الْأَخْبَارِ » ( ١ / ٢٦٦ )، « نَشْرُ الدَّرِّ » ( ٣ / ١٢٠ )، « التَّذَكُّرَةُ  
الْحَمْدُونِيَّةُ » ( ٣ / ٩٨ )، « لِبَابِ الْأَدَابِ » ( ١ / ٢٥٦ ) .

(٢) « عَيُونَ الْأَخْبَارِ » ( ١ / ٢٦٦ ) .

**فَائِدَةٌ: قَالَ مَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:** ( لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ دُرَى الْإِيمَانِ حَتَّى يَكُونَ التَّوَّاضِعُ  
أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرَفِ، وَمَا قَلَّ مِنَ الدُّنْيَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا كَثُرَ، وَيَكُونُ مَنْ أَحَبَّ وَأَبْغَضَ  
فِي الْحَقِّ سَوَاءً، يَحْكُمُ لِلنَّاسِ كَمَا يَحْكُمُ لِنَفْسِهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ. ) أَخْرَجَهُ: ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي  
« الزَّهْدِ » - تَحْقِيقٌ: د. عَامِرُ صَبْرِي - ( ٢ / ٣١٥ ) رَقْمُ ( ٦٨٣ ) .

(٣) « الرِّسَالَةُ لِلْجَا حِظِّ » ( ٤ / ١٨٤ ) .

(٤) « الْوَشْيُ الْمَرْقُومُ » ( ص ٢٣١ ) .

عَلَوْتُمْ، فَتَوَاضَعْتُمْ عَلَيَّ ثِقَةً \* لَمَّا تَوَاضَعَ أَقْوَامٌ عَلَيَّ غَرَّرَ  
وَالْكِبْرَ وَالْحَمْدُ ضِدَّانِ، اتَّفَقُوهمَا \* مِثْلُ اتَّفَاقِ فِتَاءِ السَّنِّ وَالْكِبَرِ  
يَجْنِي تَزَايِدُ هَذَا مِنْ تَنَاقُصِ ذَا \*  
وَاللَّيْلُ إِذَا طَالَ غَالَ الْيَوْمَ بِالْقَصْرِ (١)

قَالَ ابْنُ حِبَّانَ (ت ٣٥٤هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ( فَالْوَاجِبُ عَلَيَّ الْعَاقِلِ أَنْ  
يَلْزِمَ إِقَامَةَ الْمَرْوَةِ بِمَا قَدِرَ عَلَيْهِ مِنَ الْخِصَالِ الْمَحْمُودَةِ، وَتَرْكِ الْخِلَالِ  
الْمَذْمُومَةِ، وَقَدْ نَبَعَتْ نَابِعَةٌ اتَّكَلُّوا عَلَيَّ آبَائِهِمْ، وَاتَّكَلُّوا عَلَيَّ أَجْدَادِهِمْ فِي  
الذُّكْرِ وَالْمَرْوَاتِ، وَبَعُدُوا عَنِ الْقِيَامِ بِإِقَامَتِهَا بِأَنْفُسِهِمْ.

وَلَقَدْ أَنشَدَنِي مَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ فِي ذِمِّ مَنْ هَذَا نَعْتُهُ:  
إِنَّ الْمَرْوَةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَا امْرُؤٌ \* وَرِثَ الْمَرْوَةَ عَنْ أَبِي؛ فَأَضَاعَهَا  
أَمْرَتُهُ نَفْسٌ بِالذَّنَاءِ وَالخَنَا \* وَنَهَتْهُ عَنْ طَلْبِ الْعُلَى؛ فَأَطَاعَهَا  
فَإِذَا أَصَابَ مِنَ الْأُمُورِ عَظِيمَةً \* يَبْنِي الْكَرِيمَ بِهَا الْمَرْوَةَ؛ بِاعِهَا (٢)

(١) المعري «سقط الزند» (ص ٦٢).

(٢) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص ٢٤٠-٢٤١).

قَالَ صَدِيقُ خَانَ الْقُنُوجِيِّ (ت ١٣٠٧ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (... وَأَكْثَرُ مَنْ  
عَلَا نَسَبًا وَافْتَخَرَ حَسَبًا؛ حُرِّمَ مِنَ الْفَضَائِلِ الدُّنْيَا وَالْفَوَاضِلِ الْيَقِينِيَّةِ،  
وَهَلَكَ فِي مَنْ هَلَكَ مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا وَأَبَائِهَا...)<sup>(١)</sup>.

« وَالْمَرْءُ مِنْ حَيْثُ يُوجَدُ لَا مِنْ حَيْثُ يُوَلَّدُ، وَالْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ  
يُثْبِتُ لَا مِنْ حَيْثُ يَنْبُتُ ». <sup>(٢)</sup>

وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وَيَحْذَرَ مِنَ الْاِعْتِرَاضِ  
عَلَى قَدْرِهِ **جَلَّ وَعَلَا** بِمَا يَقُومُ فِي نَفْسِهِ وَلِسَانِهِ وَعَمَلِهِ مِنْ حَسَدٍ مَنْ آتَاهُ اللَّهُ  
**عَزَّ وَجَلَّ** مِنْ فَضْلِهِ، خَاصَّةً حَسَدُ مَنْ يَسْعَى خَيْرًا فِي  
قَبِيلَتِهِ / عَشِيرَتِهِ / أُسْرَتِهِ / بَلَدِهِ، فَالْأَرْضُ تَسْعُ الْمَكَارِمَ وَأَهْلَهَا كُلَّهُمْ، وَإِنَّ  
حَسَدَ مَنْ يَبْنِي خَيْرًا، لِيُعْتَبَرُ اِعْتِرَاضًا عَلَى اللَّهِ **جَلَّ جَلَالُهُ**، وَسَعْيًا لِإِيقَافِ  
الْخَيْرِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، وَحِرْمَانًا لِلْحَاسِدِ، وَحَسْرَاتٍ عَلَيْهِ مُتَوَاصِلَةً.

(١) « الدين الخالص » (٤ / ٤٣١).

(٢) « يتيمة الدهر » (٤ / ٣١١)، « التذكرة الحمدونية » (٦ / ٤٣٤)، « معجم الأدباء »

(١ / ٢٥٢).

قَالَ الرَّاعِبُ الْأَصْبَهَانِيُّ ( ت ٥٠٢ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ : ( الْحَاسِدُ ... أَظْلَمُ ظَالِمٍ ؛ لِأَنَّهُ يَظْلِمُ غَيْرَهُ فِي إِزَالَةِ حَالِهِ ، وَيَظْلِمُ رَبَّهُ فِيمَا قَدَّرَهُ ... وَقَالَ : وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَسَدَ ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَاقَةِ ؛ لِأَنَّ اعْتِمَامَهُ بِمَا يَنَالُهُ دَوُوهُ وَأَهْلُ بَلَدِهِ يَقْتَضِي أَنْ يَعْتَمَّ أَيْضًا بِمَا يَنَالُهُ أَهْلُ الصِّينِ وَالْهِنْدِ ، عَلَى أَنَّ الْخَيْرَ الَّذِي يَنَالُ دَوِيهِ إِذَا تَفَكَّرَ فِيهِ ؛ هُوَ أَنْفَعُ لَهُ مِمَّا يَنَالُهُ الْأَبَاعِدُ ) . (١)

« سَمَاءُ الْمَجْدِ وَاسِعَةٌ رَحْبَةٌ سَحَاءٌ ، تَسْعُكَ وَأَقْرَانُكَ وَمَنْ فِي أَرْضِ الْمَعَالِي جَمِيعًا ، فَلَا تُقَاتِلْ كُلَّ نَجْمٍ بَزَغَ فِيهَا غَيْرُكَ ؛ فَإِنَّكَ تَبَوُّءُ بِالتَّبَارِ ، وَتَهْدِرُ أَيَّامَكَ فِي مَعَارِكِ خَاسِرَةٍ ، وَلَنْ تَبْلُغَ أَنْ تُطْفِئَ نَجْمًا أَسْرَجَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى » . (٢)

قَالَ ابْنُ حَمْدُونَ ( ت ٥٦٢ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ : ( كَانَتْ الْعَرَبُ فِي جَاهِلِيَّتِهَا وَإِسْلَامِهَا تَتَّقِي الْهَجَاءَ أَشَدَّ مِنْ اتِّقَائِهَا السَّلَاحَ ، حَيْثُ كَانَتْ تُحَامِي عَنْ أَحْسَابِهَا ، وَتَرْغَبُ فِي اقْتِنَاءِ الْمَحَامِدِ الْبَاقِي ذِكْرُهَا عَلَى أَعْقَابِهَا . وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَعَبْدُ اللَّهِ

(١) « الذريعة إلى مكارم الشريعة » (ص ٢٤٥ - ٢٤٦) .

(٢) الأديبة: جديلة @jadelah10 (٢ / ٧ / ١٤٤١ هـ) .

بْنُ رَوَاحَةَ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ - يَهْجُونَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ - : لَّهُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ وَقَعِ النَّبْلِ .

وَكَانَ أَحَدُهُمْ فِي الْفَلَاةِ الْقَفْرِ لَا أَنْيْسَ بِهَا مَعَهُ وَلَا قَرِينَ، يَحْمِي نَفْسَهُ عَنِ كَلِمَةٍ يُعَابُ بِهَا حَتَّى كَأَنَّهُ يَتَعَبَّدُ بِذَلِكَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ... (١) .

نَعَمْ، أَهْلُ الشَّرَفِ وَالسُّؤْدَدِ إِنْ لَمْ يَمْنَعُهُمْ عَنِ الْقَبِيحِ دِينَ، مَنَعَهُمُ الشَّرْفُ وَالْمُرُوءَةُ، (٢) فَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ الْمُحَدِّثُ شُعْبَةُ بْنُ الْحَجَّاجِ (ت ١٦٠ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ : ( خُذُوا عَنِ أَهْلِ الشَّرَفِ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَ ) . (٣)

(١) « التذكرة الحمدونية » ( ٥ / ٩٦ ) .

(٢) مثل ما قال أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قبل إسلامه - لَهْرَقْلَ كما في « صحيح البخاري » رقم (٧) ، و « صحيح مسلم » ( ١٧٧٣ ) : ( ... فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْتُرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَّبْتُ عَنْهُ ) . لفظ البخاري، ولفظ مسلم: ( وايم الله، لولا مخافة أن يؤثر عليّ الكذب، لكذبتُ ) .

(٣) « الجعديات » ( ١ / ١٢ ) رقم (٢٩) ، و « حلية الأولياء » ( ٧ / ١٥٦ ) ، وانظر: « سير أعلام النبلاء » ( ٧ / ٢١٧ ) .

وفي لفظ: (الأشراف لا يكذبون). (١)

**أَيُّهَا الْأَبْنَاءُ وَالْبَنَاتُ مِنَ الْحَمَادَى**، لَا تُلْجِئُوا آبَاءَكُمْ إِلَى أَنْ يَقُولُوا

أَنْتُمْ لَسْتُمْ حَمَادَى !!!

فَإِنَّ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ أَنْ: ( يَقُولَ الْأَبُ لَوْلَدِهِ إِذَا أَنْكَرَ مِنْهُ أَخْلَاقًا أَوْ

أَعْمَالًا: لَسْتَ مِنِّي.

وَكَانَتْ مِنْ بَابِ نَفْيِ الشَّيْءِ لِإِنْتِفَاءِ ثَمَرَتِهِ؛ فَإِنَّ الْمَقْصُودَ الْمَطْلُوبَ أَنْ

يَكُونَ الْأَبْنُ مُسَاوِيًا لِلْأَبِ فِيمَا يُرِيدُهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، فَلَمَّا انْتَفَتْ

هَذِهِ الثَّمَرَةُ؛ انْتَفَتْ الْبُنُوَّةُ؛ مِبَالِغَةً. (٢)

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَى لِسَانِ قَوْمِ مَرْيَمَ لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ﴿يَتَأَخَّتِ

هَلُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾ (سورة مريم، آية ٢٨)

قال قتادة السدوسي (ت ١١٧ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في الآية: (كَانَتْ مِنْ أَهْلِ

(١) «المجروحون» لابن حبان (١/١٥١)، «الكامل» لابن عدي (١/١٥١)،

«الجامع لشعب الإيمان» للبيهقي (١٦/١٥٧).

(٢) «العدة في شرح العمدة» لابن العطار (ت ٧٢٤ هـ) (٣/١٣٨٠).

بَيِّتِ يَعْرِفُونَ بِالصَّلَاحِ، وَلَا يَعْرِفُونَ بِالْفَسَادِ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْرِفُونَ  
بِالصَّلَاحِ وَيَتَوَالِدُونَ بِهِ، وَآخَرُونَ يُعْرِفُونَ بِالْفَسَادِ وَيَتَوَالِدُونَ بِهِ؛ وَكَانَ  
هَارُونَ مُصْلِحًا مُحِبِّبًا فِي عَشِيرَتِهِ، وَلَيْسَ بِهَارُونَ أَخِي مُوسَى، وَلَكِنَّهُ  
هَارُونَ آخَرُ... (١).

قَالَ الْخَطَّابِيُّ (ت ٣٨٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ الْآيَةِ: (... فَقَضَوْا بِفَسَادِ  
الْأَصْلِ عَلَى فِسَادِ الْفَرْعِ). (٢) عَلَّقَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ (ت ١٣٧٧هـ)  
رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى قَوْلِ الْخَطَّابِيِّ بِقَوْلِهِ: ( وَهَذَا - الَّذِي قَالَ الْخَطَّابِيُّ - كَلَامٌ  
جَيِّدٌ، وَاسْتِدْلَالٌ صَحِيحٌ، يُؤَيِّدُهُ الْوَاقِعُ الْمَشَاهِدُ فِي الْأَغْلَبِ الْأَكْثَرِ،  
وَالنَّادِرُ غَيْرُ ذَلِكَ... ) (٣).

قَالَ الْأَلُّوسِيُّ (١٢٧٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ( وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْفُرُوعَ  
غَالِبًا تَكُونُ زَاكِيَةً إِذَا زَكَتِ الْأُصُولُ، وَيُنْكَرُ عَلَيْهَا إِذَا جَاءَتْ بِضِدِّ  
ذَلِكَ ) (٤).

(١) « جامع البيان » لابن جرير (١٥ / ٥٢٣).

(٢) « معالم السنن » (٤ / ٨٠).

(٣) تحقيق أحمد شاكر « مسند أحمد » (٨ / ١٧١).

(٤) « روح المعاني » (٨ / ٤٠٧).

قَالَ ابْنُ سَعْدِيٍّ (ت ١٣٧٦ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (أَي: لَمْ يَكُنْ أَبَوَاكَ إِلَّا صَالِحِينَ سَالِمِينَ مِنَ الشَّرِّ، وَخُصُوصًا هَذَا الشَّرَّ الَّذِي يُشِيرُونَ إِلَيْهِ، وَقَصْدُهُمْ: فَكَيْفَ كُنْتَ عَلَى غَيْرِ وَصْفِهِمَا؟! وَأَتَيْتَ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ؟! وَذَلِكَ أَنَّ الذَّرِيَّةَ - فِي الْغَالِبِ - بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ فِي الصَّلَاحِ وَضِدِّهِ؛ فَتَعَجَّبُوا - بِحَسَبِ مَا قَامَ بِقُلُوبِهِمْ - كَيْفَ وَقَعَ مِنْهَا؟ فَأَشَارَتْ لَهُمْ إِلَيْهِ، أَي: كَلِّمُوهُ ...). (١)

قَالَ الشُّعْرَاوِيُّ (ت ١٤١٨ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ نُضَجَ الْأَسْرِ يُؤَثِّرُ فِي الْأَبْنَاءِ، فَحِينَ نَكُونُ الْأُسْرَةَ الْمُؤْمِنَةَ وَالْبَيْتَ الْمُلتَزِمَ بِشَرِّعِ اللَّهِ، وَحِينَ نَحْتَضِنُ الْأَبْنَاءَ وَنَحْوُطُهُمْ بِالْعِنَايَةِ وَالرَّعَايَةِ، فَسَوْفَ نَسْتَقْبَلُ جِيلًا مُؤْمِنًا وَاعِيًا نَافِعًا لِنَفْسِهِ وَلِمُجْتَمَعِهِ). (٢)

قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ (ت ٣٩٥ هـ تقريباً) رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَرُبَّمَا كَانَ سُودُّ الْوَالِدِ وَفَضِيلَتُهُ نَقِيصَةً لِلْوَلَدِ إِذَا تَأَخَّرَ عَنْ رُبَّةِ الْوَالِدِ، وَيَكُونُ ذِكْرُ الْوَالِدِ الْفَاضِلِ تَقْرِيعًا لِلْوَلَدِ النَّاقِصِ).

(١) « تفسير السعدي » (ص ٤٩٢).

(٢) « تفسير الشعراوي » (١٥ / ٩٧٤).



وَقِيلَ لِبَعْضِهِمْ: لِمَ لَا تَكُونُ كَأَبِيكَ؟ فَقَالَ: لَيْتَ أَبِي لَمْ يَكُنْ ذَا فَضْلٍ؛ فَإِنَّ فَضْلَهُ صَارَ نَقْصًا لِي. (١)

وَالنَّاسُ يَعْيُونَ « مَنْ يُخْلِفُ آبَاءَهُ الصَّالِحِينَ، بِالْفِسْقِ وَكَثْرَةِ الرُّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْكَبْرِ، وَالِدَعْوَى، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْقَبَائِحِ، .....  
لَعْنٌ فَخَرَّتْ بِآبَاءٍ لَهُمْ شَرَفٌ \* لَقَدْ فَخَرَتْ وَلَكِنْ بئسَ مَا وَلَدُوا (٢)

قَالَ الْغَزِّيُّ (ت ١٠٦١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: (... فَمَنْ كَانَ أَبُوهُ صَالِحًا وَخَالَفَ سَمَتَ أَبِيهِ فَقَدْ أَشَمَّتْ عَدُوُّ أَبِيهِ فِيهِ، وَكَانَ لِقَابِيلَ مَثِيلًا، وَإِبْلِيسَ خَلِيلًا، (٣) بَلِ اللَّائِقُ بِابْنِ الْكَرِيمِ أَنْ يَكُونَ كَرِيمًا، وَلَا يُبَاحُ لِابْنِ اللَّئِيمِ أَنْ يَكُونَ لئِيمًا، وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ تَعَالَى الْأَبْنََاءَ عَلَى تَقْلِيدِ الْأَبَاءِ فِي الْأَمَةِ، وَعُدَّ افْتِخَارَ يُوسُفَ بِآبَائِهِ الْكَرَامِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ قَبِيلِ الْكَرَامَةِ.....  
وَلَا شَكَّ أَنَّ ابْنَ الْكَرَامِ إِذَا جَاءَ بِأَفْعَالِ اللَّئَامِ؛ سَلَطَ عَلَى عَرِضِهِ،

(١) «الصناعتين» (ص ٩٩).

(٢) «المحاضرات في اللغة والأدب» للحسن اليوسي (١/٧٦).

(٣) التشبيه بقبايل وإبليس، ليس حسنًا.

وَعَرَضَ آبَاؤُهُ أَلْسِنَةَ الْأَنَامِ، فَهُوَ جَانٍ عَلَى نَفْسِهِ وَعَشِيرَتِهِ، وَشَائِنٌ لِقَوْمِهِ  
وَقَبِيلَتِهِ، فَهُوَ حَرِيٌّ بِالنَّكَالِ، جَدِيرٌ بِالْوَبَالِ.  
وَقُلْتُ:

يَا مُشْمِتَ الْأَعْدَاءِ فِي آبَائِهِ \* لَا كُنْتَ يَوْمًا مُشْمِتَ الْأَعْدَاءِ  
وَأَبْنُ الْكِرَامِ إِذَا نَبَا عَنْ سَمْتِهِمْ \* أَوْلَى بِأَنْ يُهْجَى بِكُلِّ هِجَاءٍ (١)

يُقَالُ: عَيَّرَ شَرِيفُ النَّسَبِ سُقْرَاطَ بِسُقُوطِ نَسَبِهِ، فَقَالَ: نَسَبِي عَارٌ  
عَلَيَّ، وَأَنْتَ عَارٌ عَلَيَّ نَسَبِكَ. (٢)

وَفَخَرَ رَجُلٌ مِنَ الْمُلُوكِ عَلَى جَالِينُوسَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ: أَمَّا مَا فَخَرْتَ بِهِ  
مِنْ شَرَفِ آبَائِكَ، فَشَيْءٌ لَا صُنْعَ لَكَ فِيهِ ! كَمَا لَا صُنْعَ لِي فِي ذِلَّةِ آبَائِي !  
وَأَمَّا مَا كَانَ إِلَيْكَ وَإِلَيَّ، فَلَا فَخْرَ لَكَ فِيهِ عَلَيَّ؛ لِأَنَّكَ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ  
النَّقْصَ، وَشَيَّدْتَ لِنَفْسِي الشَّرْفَ. (٣)

(١) « حسن التنبه لما ورد في التشبه » للغزي (٦ / ٣٧٥).

(٢) « ربيع الأبرار » (٤ / ٢٦٠).

(٣) « المناقب والمثالب » لريحان الخوارزمي (ص ٢٤١) رقم (٧٦٢).

أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ اسْتَوْوَا، وَاعْتَدِلُوا، وَاسْتَقِيمُوا، وَسَوُّوْا صُفُوفَكُمْ،  
وَتَرَاصُّوْا، وَتَحَاذُوا بِالْقُلُوبِ، وَسُدُّوْا الْخَلَلَ، وَلَا تَدْعُوا فُرْجَاتِ  
لِلشَّيْطَانِ، وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ جَمِيعًا وَاسْتَغْفِرُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ.

هَذَا، وَلِلشُّوكَانِيِّ (ت ١٢٥٠هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ كَلَامٌ جَمِيلٌ فِي الْحَدِيثِ  
عَنِ الْأَعْتِدَادِ بِالْأَحْسَابِ، وَذِكْرِ مَائِرِ الْأَبَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يَدُلُّ عَلَى التَّعَصُّبِ  
لَهُمْ، وَتَلَقَّى مَا نُقِلَ عَنْهُمْ بِالْقَبُولِ مُطْلَقًا، قَالَ: (وَلِهَذَا تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ  
يَسْتَكْثِرُ مِنْ: قَالَ جَدُّنَا، قَالَ وَالِدُنَا، وَاخْتَارَ كَذَا، صَنَعَ كَذَا، فَعَلَ كَذَا؛ وَهَذَا  
لَا شَكَّ أَنَّ الطَّبَاعَ الْبَشَرِيَّةَ تَمِيلُ إِلَيْهِ، وَلَا سِيَّمَا طَبَائِعِ الْعَرَبِ؛ فَإِنَّ الْفَخْرَ  
بِالْأَنْسَابِ وَالتَّحَدُّثَ بِمَا كَانَ لِلْسَّلَفِ مِنَ الْأَحْسَابِ، يَجِدُونَ فِيهِ مِنَ اللَّذَّةِ  
مَا لَا يَجِدُونَهُ فِي تَعَدُّدِ مَنَاقِبِ أَنْفُسِهِمْ، وَيَزْدَادُ هَذَا بِيَزَادَةِ شَرَفِ النَّفْسِ،  
وَكَرَمِ الْعُنْصُرِ، وَنِبَالَةِ الْأَبَاءِ؛ وَلَكِنْ لَيْسَ مِنَ الْمَحْمُودِ أَنْ يُبْلَغَ بِصَاحِبِهِ إِلَى  
التَّعَصُّبِ فِي الدِّينِ، وَتَأْثِيرِ الْبَاطِلِ عَلَى الْحَقِّ؛ فَإِنَّ اللَّذَّةَ الَّتِي يَطْلُبُهَا،  
وَالشَّرْفَ الَّذِي يُرِيدُهُ قَدْ حَصَلَ لَهُ بِكَوْنِ مَنْ سَلَفَهُ ذَلِكَ الْعَالِمِ، وَلَا يَضِيرُهُ  
أَنْ يَتْرَكَ التَّعَصُّبَ لَهُ، وَلَا يَمَحَقَ عَلَيْهِ شَرَفَهُ، بَلِ التَّعَصُّبُ مَعَ كَوْنِهِ مُفْسِدًا  
لِلْحِظِّ الْأُخْرَوِيِّ؛ يُفْسِدُ عَلَيْهِ أَيْضًا الْحِظَّ الدُّنْيَوِيَّ؛ فَإِنَّهُ إِذَا تَعَصَّبَ لِسَلَفِهِ

بِالْبَاطِلِ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ مَنْ لَهُ فَهْمٌ أَنَّهُ مُتَعَصِّبٌ؛ وَفِي ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنْ  
 هَدْمِ الرَّفْعَةِ الَّتِي يُرِيدُهَا، وَالْمَزِيَّةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا مَا هُوَ أَعْظَمُ عَلَيْهِ وَأَشَدُّ مِنْ  
 الْفَائِدَةِ الَّتِي يَطْلُبُهَا بِكَوْنِ لَهُ قَرِيبٌ عَالِمٌ، فَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُهُ صَلاَحُ غَيْرِهِ مَعَ  
 فَسَادِ نَفْسِهِ (...). (١)



(١) «أدب الطلب ومنتهى الأدب» (ص ٥٩).

## أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ أبنَاءَ وَبَنَاتِ الْأَعْمَامِ

اعْلَمُوا أَنَّ الْعِلْمَ أَشْرَفُ الْأَحْسَابِ، <sup>(١)</sup> فَلنَحْرِضْ عَلَيْهِ، وَنَجْتَهِدْ فِيهِ،  
وَنُرَبِّي أَوْلَادَنَا فِي سَبِيلِهِ، فَالْعِلْمُ عِزٌّ، وَ «كُلُّ عِزٍّ لَمْ يُؤَكِّدْهُ عِلْمٌ؛ مِثْلَهُ،  
وَكُلُّ عِلْمٍ لَمْ يُؤَكِّدْهُ عَقْلٌ؛ مِثْلَهُ» <sup>(٢)</sup>.

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْبَاهِلِيُّ (ت ٥٤٤ هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ: ( مِنْ كَلَامِ الْعُلَمَاءِ:  
الْعِلْمُ أَنْفُسُ الْأَعْلَاقِ، وَأَشْرَفُ الْأَعْرَاقِ، وَأَكْرَمُ مُتَسَبِّبٍ، وَأَنْفَعُ لِمُقْتَنِيهِ مِنْ  
الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، فَإِنَّهُمَا يَبِيدُهُمَا الْإِنْفَاقُ، وَلَا يَنْفَعَاكَ إِلَّا عِنْدَ الْفِرَاقِ .

(١) « عيون الأخبار » (٢ / ١٢١)، « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٦)، « جامع بيان العلم »  
(١ / ٢٥٦).

وفي « حلية الأولياء » لأبي نُعَيْمٍ (٧ / ٢١٤): قَالَ مَسْعُورُ بْنُ كِدَامٍ (ت ١٥٥ هـ)  
رَحِمَهُ اللَّهُ: « الْعِلْمُ أَشْرَفُ الْأَحْسَابِ؛ يَرْفَعُ الْخَيْسِيسَ فِي نَسَبِهِ، وَمَنْ قَعَدَ بِهِ حَسْبُهُ؛  
نَهَضَ بِهِ أَدْبُهُ ».

(٢) « الذخائر والأعلاق » لأبي الحسن الباهلي (ص ٩٦).

وَانظُرْ لِلْفَائِدَةِ: « مسبوكة الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب »  
لمرعي الكرمي (ت ١٠٣٣ هـ).

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ: الْعِلْمُ جَمَالٌ لَا يَخْفَى، وَنَسَبٌ لَا يُجْفَى، وَالْعِلْمُ لَا يَنْقُصُ مَعَ الْإِبْدَالِ، وَلَا يُفَارِقُكَ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ (١).

«إِنَّ عَمَلَ الْأَجْدَادِ لِلْخَيْرِ وَالنَّفْعِ، وَبِنَاءَهُمْ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ لِلْعِلْمِ؛ مَفْخَرَةٌ لِلْأَخْفَادِ، وَحَفْزٌ لَهُم مِمَّنْ، وَتَقْصِيرٌ لِّلْمَسَافَةِ عَلَيْهِمْ، وَتَقْلِيلٌ مِنَ الْجُهْدِ وَالنَّصَبِ، وَغَرْسٌ وَتَمْهِيدٌ؛ فَضَعُوا - أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ - فِي أَيْدِي أَبْنَائِكُمْ مَا يُفَاخِرُونَ بِهِ، وَابْنُوا لَهُمْ مَا لَا يَحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى التَّرْمِيمِ. إِنَّ بَرَّ الْأَبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ أَسَاسٌ لِّبَرِّ الْأَبْنَاءِ لِلْأَبَاءِ، فَأَقْرِضُوا أَبْنَاءَكُمْ الْبِرَّ الْحَسَنَ؛ تَجِدُوهُ مُضَاعَفًا، وَوِدْوَهُ إِلَيْكُمْ وَمَعَهُ فَائِدَتُهُ وَرَبِيعُهُ» (٢).

الْعِلْمُ مَنَاطُ الشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ وَالْكَمَالِ، وَالتَّجَاعُ الْعِلْمِيِّ = الْمُؤَلَّفَاتُ مَوَارِيثُ ثَمِينَةٌ، وَمَعَادِنُ دَفِينَةٌ، وَخَصَائِصُ مَكِينَةٌ، فَأَثِرُوا - أَيُّهَا الْحَمَادِيُّ - الْهِمَمَ الرَّكَدَةَ، وَالْمَشَاعِرَ الْهَادِيَةَ، وَعَوَاطِفَ الْخَيْرِ، وَنَوَازِعَ الشَّرَفِ،

(١) «الذخائر والأعلاق» لأبي الحسن الباهلي (ص ١٠٣)، وانظر قول ابن المعتز في

«زهر الآداب» للحصري (٢ / ٤٢٩).

(٢) اقتباس من كلمات للبشير الإبراهيمي في «آثاره» (٣ / ٢٥٣).

وَالنُّفُوسَ الْبَاحِثَةَ فِي غَيْرِ سَبِيلِ الْعِلْمِ، انْفَخُوا فِيهَا رُوحًا جَدِيدَةً مُثِيرَةً،  
فِيهَا كُلُّ مَا فِي الْكَهْرَبَاءِ مِنْ نَارٍ وَنُورٍ. (١)

وَمِنْ أَجْمَلِ مَنْ تَحَدَّثَ عَنِ مَكَانَةِ الْعِلْمِ فِي مَنَازِلِ الشَّرَفِ،  
عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ (ت ٤٧١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ بِكَلَامٍ أَخَّاذٍ، يُبَيِّنُ الْهَمَّةَ لِنَيْلِ  
الرُّتَبِ الْعَلِيَّةِ، أَقْرَأَ وَأَسْمَعَ وَتَدَبَّرَ قَوْلَهُ: (إِذَا تَصَفَّحْنَا الْفَضَائِلَ لِنَعْرِفَ  
مَنَازِلَهَا فِي الشَّرَفِ، وَتَبَيَّنَ مَوَاقِعَهَا مِنَ الْعِظَمِ؛ وَنَعْلَمَ أَيُّ أَحَقُّ مِنْهَا  
بِالتَّقْدِيمِ، وَأَسْبَقُ فِي اسْتِجَابِ التَّعْظِيمِ؛ وَجَدْنَا الْعِلْمَ أَوْلَاهَا بِذَلِكَ،  
وَأَوْلَاهَا هُنَالِكَ؛ إِذْ لَا شَرَفَ إِلَّا وَهُوَ السَّبِيلُ إِلَيْهِ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا وَهُوَ الدَّلِيلُ  
عَلَيْهِ، وَلَا مَنَقِبَةَ إِلَّا وَهُوَ ذُرْوَتُهَا وَسَنَامُهَا، وَلَا مَفْخَرَةَ إِلَّا وَبِهِ صِحَّتْهَا  
وَتَمَامُهَا، وَلَا حَسَنَةَ إِلَّا وَهُوَ مِفْتَاحُهَا؛ وَلَا مَحْمَدَةَ إِلَّا وَمِنْهُ يَتَّقَدُ  
مِصْبَاحُهَا، وَهُوَ الْوَفِيُّ إِذَا خَانَ كُلُّ صَاحِبٍ، وَالثَّقَّةُ إِذَا لَمْ يُوثِقْ بِنَاصِحٍ،  
لَوْلَاهُ لَمَا بَانَ الْإِنْسَانُ مِنْ سَائِرِ الْحَيَوَانَ إِلَّا بِتَخْطِيطِ صُورَتِهِ، وَهَيْئَةِ جِسْمِهِ  
وَبِنْيَتِهِ، لَا، وَلَا وَجَدَ إِلَى اِكْتِسَابِ الْفَضْلِ طَرِيقًا، وَلَا وَجَدَ بِشَيْءٍ مِنَ  
الْمَحَاسِنِ خَلِيقًا.

(١) اقتباس من «آثار البشير الإبراهيمي» (٣ / ٤٥٥).

ذَاكَ لِأَنَّ وَإِنْ كُنَّا لَا نَصِلُ إِلَى اكْتِسَابِ فَضِيلَةٍ إِلَّا بِالْفِعْلِ، وَكَانَ لَا  
يَكُونُ فِعْلٌ إِلَّا بِالْقُدْرَةِ، فَإِنَّا لَمْ نَرِ فِعْلاً زَانَ فَاعِلُهُ وَأَوْجَبَ الْفَضْلَ لَهُ، حَتَّى  
يَكُونَ عَنِ الْعِلْمِ صَدْرُهُ، وَحَتَّى يَتَبَيَّنَ مَيْسَمُهُ عَلَيْهِ وَآثَرُهُ؛ وَلَمْ نَرِ قُدْرَةً قَطُّ  
كَسَبَتْ صَاحِبَهَا مَجْداً وَأَفَادَتْهُ حَمِداً، دُونَ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ رَائِدَهَا فِيمَا  
تَطْلُبُ، وَقَائِدَهَا حَيْثُ يَوْمٌ وَيَذْهَبُ، وَيَكُونُ الْمَصْرَفَ لِعِنَانِهَا، وَالْمُقَلَّبَ  
لَهَا فِي مِيدَانِهَا.

فَهِيَ إِذَا مُفْتَقِرَةٌ فِي أَنْ تَكُونَ فَضِيلَةً إِلَيْهِ، وَعِيَالٌ فِي اسْتِحْقَاقِ هَذَا  
الْأَسْمِ عَلَيْهِ، وَإِذَا هِيَ خَلَّتْ مِنَ الْعِلْمِ أَوْ أَبَتْ أَنْ تَمْتَثِلَ أَمْرُهُ، وَتَقْتَفِي آثَرَهُ  
وَرَسْمَهُ؛ أَلَتْ وَلَا شَيْءَ أَحْشَدُ لِلذَّمِّ عَلَى صَاحِبِهَا مِنْهَا، وَلَا شَيْنَ أَشَيْنُ مِنْ  
أَعْمَالِهِ لَهَا.

فَهَذَا فِي فَضْلِ الْعِلْمِ لَا تَجْدُ عَاقِلاً يُخَالِفُكَ فِيهِ، وَلَا تَرَى أَحَدًا  
يَدْفَعُهُ أَوْ يَنْفِيهِ. (١)

(١) «دلائل الإعجاز» (ص ٤ - ٥).



وَالْعِلْمُ أَحْصَنُ مَا لَازَ الرَّجَالَ بِهِ \* مَنْ فَاتَهُ الْعِلْمُ دَيْسَتْ أَرْضُهُ وَرُمِيَ  
يَا نَازِلِينَ عَلَى الْأَرْحَامِ فِي كَنْفٍ \* مِنَ الْأُخُوَّةِ سَامِي الْقَدْرِ وَالْعِظَمِ  
هُبُوا عَلَى الْعِلْمِ أَنْفَاسًا مُبَارَكَةً \* وَرَفْرُفُوا فِيهِ أَعْلَامًا عَلَى عِلْمِ  
وَاسْتَقْبِلُوا الْفَوْزَ فِي الْعُقْبَى عَلَى عَمَلٍ \* بِالْمِسْكِ مُفْتَتِحَ بِالْمِسْكِ مُخْتَمَ (١)

### أَنشَدَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا ( ت ٢٨١ هـ ) رَحِمَهُ اللَّهُ

كَمْ مِنْ حَسِيْبٍ أَخِي عَزٌّ وَطَمْطَمَةٌ \* فَدَمٍ لَدَى الْقَوْمِ مَعْرُوفًا إِذَا انْتَسَبَا  
فِي بَيْتِ مَكْرَمَةٍ أَبَاؤُهُ نُجُبٌ \* كَانُوا الرُّؤُوسَ فَأَمْسَى بَعْدَهُمْ ذُنُبَا  
وَخَامِلٍ مُقْرِفِ الْأَبَاءِ ذِي أَدَبٍ \* نَالَ الْمَكَارِمَ وَالْأَمْوَالَ وَالنَّسَبَا  
الْعِلْمُ زَيْنٌ وَذُخْرٌ لَا نَفَادَ لَهُ \* نَعَمَ الضَّجِيعُ إِذَا مَا عَاقِلٌ صَحِيبَا  
قَدْ يَجْمَعُ الْمَرْءُ مَا لَا تُمَّ يُسَلِّبُهُ \* عَمَّا قَلِيلٍ فَيَلْقَى الدُّلَّ وَالْحَرَبَا  
وَجَامِعُ الْعِلْمِ مَغْبُوطٌ بِهِ أَبَدًا \* فَلَا تُحَاذِرْ مِنْهُ الْفَوْتَ وَالسَّلْبَا (٢)

(١) « ديوان محمد العيد آل خليفة الجزائري » ( ص ١٠٠ ).

(٢) « المجالسة » للدينوري ( ٤ / ٤٦٣ )، ومن طريقه: [ « تاريخ دمشق » ( ٢٥ / ٢٠٨ ) ]،

« الفقيه المتفقه » للخطيب ( ١ / ١٨٦ )، و « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر

( ١ / ٢٥٠ )، « معجم الأدباء » ( ١٢ / ٣٦ )، وقد نُسِبَتْ بعضُ هذه الأبيات إلى

**أيها الحمادي**، إنَّ هذا الكِتَابَ الطَّيِّبَ الْجَامِعَ <sup>(١)</sup> لِأَهْمِّ الْأَثَارِ الْعِلْمِيَّةِ لِأُسْرَتِنَا الْغَالِيَّةِ، سَيَبْلُغُ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ - بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى - ، فَحَرِيٌّ بِالْأُسْرَةِ « الْحَمَادِي » أَنْ تَحْفَلَ بِهِ، وَتَشْمَهُ شَمَّ الْوَرْدِ، وَتَضُمَّهُ ضَمَّ الْوَلَدِ، خَاصَّةً أَنَّهُ مَلِيٌّ بِمُسِيَلَاتِ اللَّعَابِ مِنَ الْعَنَاوِينِ الْجَادِبَةِ الْفَاتِنَةِ مِنْ كُلِّ فَنٍّ وَبَابٍ، وَهُوَ مَفْخَرَةٌ لِلْحَمَادِي أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا؛ لِأَنَّ الْكِتَابَ يَحْمِلُ اسْمَهُمْ، وَيَجْعَلُ لَهُمْ مِيزَانًا وَمِيزَانِيَّةً، وَالسُّمْعَةُ الطَّيِّبَةُ أَعْظَمُ ثَرَاءً، وَأَحْسَنُ أَثْرًا.

أَكْرِمُ بِذِي أَدَبٍ أَكْرِمُ بِذِي حَسَبٍ \*

فَإِنَّمَا الْعَزْمُ فِي الْأَحْسَابِ وَالْأَدَبِ <sup>(٢)</sup>

=

أبي الأسود الدؤلي، انظر « تاريخ دمشق » ( ٢٥ / ٢١٠ )، و« ديوانه - المستدرک عليه - » تحقيق: محمد آل ياسين ( ص ٣٨٣ )، وقد وضع الأبيات في القسم الثاني: المشكوك في نسبه.

وقد نسبت بعض أبياتها إلى الأصمعي ظناً كما في « الخامس من الخلعيات » مخطوط في الشاملة، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » ( ٢٥ / ٢٠٩ ).

(١) الكتاب الذي كُتِبَتْ له أصل هذه الحمادية: « دليل النتاج العلمي للحمادي » لابن

العم د. علي بن عبدالعزيز الحمودي - جزاه الله خيراً - .

(٢) « روضة العقلاء ونزهة الفضلاء » ( ص ٢٣٠ ).

الْعِلْمُ الطَّيِّبُ حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ، فَلْيَسْتَمِرَّ هَذَا الْحَسَبُ الطَّيِّبُ لِأُسْرَتِنَا  
 الْمُبَارَكَةِ، وَلْيُنْشَرْ مَا فِي هَذَا التِّتَاجِ الْمُبَارَكِ فِي الْأَفَاقِ.  
 وَمِنْ السُّؤْدَدِ وَالشَّرَفِ أَنْ يَنْشَرَ الْأَبْنَاءُ عِلْمَ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، فَالْنَفْسُ  
 تَجِدُ مُتَعَةً فِي تَحْمَلِ الْعِلْمِ عَنِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، وَتَنْشَطُ فِي نَشْرِهَا  
 وَتُسْنِدُهَا؛ إِبْقَاءً لِلشَّرَفِ وَسِلْسِلَةَ النِّقْلَةِ، حَتَّى فِي أَدَقِّ مَنْهَجٍ وَهُوَ مَنْهَجُ  
 أَهْلِ الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ فَقَدْ كَانُوا يَحْرِصُونَ عَلَى النُّزُولِ فِي الْإِسْنَادِ؛ لِأَجْلِ  
 الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، قَالَ ابْنُ رَشِيدِ الْفَهْرِيِّ (ت ٧٢١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ:  
 (... فَكَثِيرًا مَا يَتَحَمَّلُونَ النُّزُولَ وَيَدْعُونَ الْعُلُوَّ وَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ؛ حِرْصًا  
 عَلَى ذِكْرِهِ عَنِ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ وَإِبْقَاءً لِلشَّرَفِ وَلِذَلِكَ مَا تَجِدُ الْأَسَانِيدَ  
 تَنْزِلُ كَثِيرًا فِي الْمَسَافَةِ فِي هَذَا النَّوعِ فَيَدْعُونَ الْإِسْنَادَ الْعَالِيَّ؛ إِثَارًا لِطَلَبِ  
 الْمَعَالِي). (١)

فَاسْأَلُوا أَقْلَامَهُمَا مَا خَطْبُهَا \* تَتَمَشَّى فِي الْقَرَاطِينِ رِقَاقًا  
 أَيُّهَا الدَّائِبُ فِي تَشْيِطِهَا \* وَشُعُوبٌ دُونَهَا حَازُوا السُّبَاقَا

(١) «السنن الأبين» (ص ٩٤).

- قَوْصِ السَّدِّ الَّذِي شَيْدَتْهُ \* قَبْلَ أَنْ يَجْتَابَهُ الْقَوْمُ اخْتِرَاقًا  
 خُذْ إِلَيَّ صَدْرِكَ كَفَيْكَ وَدَعْ \* خَيْلَهَا تَعْدُو إِلَيَّ الْمَجْدِ انْطِلَاقًا  
 وَقُلِ الْفَضْلَ إِذَا حَدَّثَتْهَا \* فَالرِّيَاءُ الْيَوْمَ لَا يَلْقَى نَفَاقًا  
 أَنْتَ تَبْغِيهَا خُمُولًا وَإِذَا \* أَهَبْتَ لِلصَّيْتِ ضَاعَفْتَ الْوِثَاقًا  
 مَنْ عَدُوْلِي إِنْ أَنَا مَجَّدْتُهَا \* يَوْمَ تَجْتَاحُ قِيُودًا وَرِبَاقًا (١)

دُونِكَ الْكِتَابَ (٢)، اِحْمِلْهُ عَلَيَّ هُونٍ، وَاقْرَأْهُ مِنْ أَعْلَى:

سَلِّ عَنْهُ، وَأَنْطِقْ بِهِ، وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ تَجِدْ \*

مِلَاءِ الْمَسَامِعِ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمُقَلِّ (٣)

(١) العلامة: الخضر حسين (ت ١٣٧٧ هـ) رَحِمَهُ اللهُ «موسوعة الأعمال الكاملة» (١٦٠ / ٧).

(٢) الكتابُ الذي كُتِبَتْ لَهُ أَصْلُ هَذِهِ الْحَمَادِيَّةِ: «دليل النتاج العلمي للحمادي» د. علي الحمودي.

(٣) قاله ابن شرف يمدحُ أبا الحسن عليَّ بنَ أبي الرَّجاءِ الشيباني في قصيدة جميلة. انظر: «الذخيرة» لابن بسام (١ / ٣٨٣)، «ألف بَاءَ لِلأَبَاءِ» للبلوي (١ / ٤٩٨) - وانظر تعليقه عليه -، «تحرير التحبير» لابن أبي الإصبع (ص ٤٢٧).

وَفَقَّ اللَّهُ الْجَمِيعَ، وَسَدَّدَ الْخُطَى، وَبَارَكَ فِي الْجُهُودِ، وَيَسَّرَ نَشْرَ  
هَذِهِ الرَّسَائِلِ وَالْبُحُوثِ، وَنَفَعَ بِأُسْرَتِنَا الْكَبِيرَةَ آلَ الْحَمِيدِيِّ = الْحَمَادِيِّ.  
وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَيَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

**كتبه:**

إبراهيم بن عبد الله المديهي

**النشرة الرابعة - مزيدة ومصححة - :**

[ ١ / ٢ / ١٤٤٣ هـ ]

ما ارتضيتُ وضع **خلاصة**؛ لأن الحماسية لا تُختصرُ

وما رغبتُ بوضع **فهرس**؛ لأن الحماسية لا تُجزأُ

# أَسْرُهُمْ وَأَسْرُهُمْ

نَسْبُهَا، أُسْرُهَا، تَارِيخُهَا، بُلْدَانُهَا، أَعْلَامُهَا  
مُؤَلَّفَاتُهَا، وَثَائِقُهَا، وَمَعَالِمُ الْآخِرَى .

تَأْلِيفُ

إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الْمَدِينِ

